انقــذنى من أحــلامى

زينب صادق

أنقذني من أحلامي

مكتبة غريب

— ١ —

تحولات فى قدر انسان

صليت فى المسجد الأقصى · بكيت ·· خبطت الأرض براسى وطلبت من الله أن يغير قــدرى ·

فى الصــباح قمت أنظر حــولى الى كل مــا أراه كل يوم من الأشياء · بنظرة جديدة · نظرة حب ·· وتفاءلت ·

ذلك الصباح نادانى رئيس مجلس الادارة وقال مهنئــا انهم أسندوا الى ادارة قسم · سألته مندهشة « هكــذا فجــأة » قال : هــذا قرر فى اجتماع الأمس ·

وذهبت الى الندوة التى ترددت فى الاشــتراك فيها · كنت سأعتذر ذلك الصباح · تدفقت الكلمات كأنها الهام وقع على وتحدثت من وحيه · كان لكلماتى وقع السحر · صمتوا · صفقوا · كانوا ينظرون الى باعجاب جديد · دارت عينى بين نظراتهم وتوقفت عند نظراته الى · أحببت نظرته الى وكنت دائمــا أتحــاشى النظر فى عينيه ·

وقفت بينهم فى جو الربيع المنعش فيما بين الغروب والمساء ٠ ابتعدت قليلا ٠ نظرت الى السماء من تلك الشرفة المرتفعة ٠ وضعت معطفى على كتفى ٠ وأنا أفعل هـذا امتدت يد تمسك به ٠ وصوت كأنه من السماء قال « هل يمكن أن أساعدك » ٠٠ وساعدنى على ارتداء المعطف ٠ التقت نظراتنا للمرة الثانية ٠ ابتسمنا ٠ كانت ابتسامته حلوة ٠٠ وعريضة ــ تملأ وجهه ٠ تملأ السماء ٠

قال : تضايقت بالأمس عنـدما سألت عن المتحـدثين وقـالوا انك ربما تعتذرين ٠ قالوا ان صمتك لم يعد جديدا عليهم ٠ هل كنت تريدين حرماننا من كلماتك وبداخلك كل هـذا السخاء والسحر ٠

قلت : أراك أحيانا فى مثل هـذه الاجتماعات أو فى مكان عملنا تأتى لتنجز عملا ٠٠ ماذا تعرف عنى ؟ !

قال : أراقبك من فترة ٠ شغلتنى نظرة عينيك ٠ كانت تأتينى رغبة أن آخذ يدك وأخرج بك الى حديقة أو مكان مبهج لأبعد هـذه النظرة المتضايقة عن عينيك ٠ لأرى ابتسـامتك هـذه النادرة ٠٠ سـألت زملاءك عنك ٠ قالوا انك من زمن مكتئبـة ٠ ربما لظروف خاصـة ٠ ونصـحونى ألا أقترب منـك ٠٠ اليـوم تحـدثوا عنـك باعجـاب ٠ فرحت ٠ مـا الذى غيرك فجـأة ٠ اليوم أنت صـورة مختلفة تماما عن ٠٠ الأمس ٠

قلت سارحة : أمس صليت فى المسجد الأقصى وطلبت من الله أن يغير قـدرى ٠

ابتسم ٠ قال مندهشا : المسجد الأقصى ؟ !

قلت : كان حـلما لا اكثر ٠ ولكنى تفاءلت به وقـررت منذ الصباح أن أساعد قدرى فى أن يتغير ٠ لذلك جئت ٠ وتحدثت ٠

ـــ كيف عرفت أنه المسجد الأقصى ؟

ـــ هكذا قالوا لى ٠٠

ابتسم وهو يقول انه معجب بأفكارى ٠ أو أحلامى ٠ لحق بنا الزملاء ٠ أحضروا مقاعد فى الشرفة ٠ كانت أحاديثهم معى تعبر عن نظرتهم المختلفة التى فيها من التعجب والاعجاب أيضا ٠ سألونى اذا كنت قد أخذت حبوبا للشجاعة أو السعادة أو اذا كنت شربت بعض الكحوليات ٠ أو دخنت سيجارة ما ٠٠ لذلك تغيرت فجأة ٠٠ ابتسمت لكن لم تعجبنى أسئلتهم ٠ نظرت اليه ٠ ابتسمت عيناه ٠ فهو يفهم لماذا التغير ٠

وبنظرته ولمحة من رأسه قال ألا أجيبهم ٠ شعرت بهذا الشعور العجيب المتسائل فى داخلى ٠ لقد سألت عنه أيضا يوما ٠ سمعت عنه كلمات مديح لكنى لم ارد أن أهتم ٠

مع صحوة الطبيعة ٠ القلب يصحو ٠ أحيانا يحدث اتفاق بين اثنين دون تبادل كلمات ٠ يعنى أن تقول نظرات كل منهما للآخر شيئا فيفهم ٠ يعنى أن تسمع أذنا كل منهما عن الآخر شيئا فيعجب به ٠ يعنى أن يقوما فى وقت واحد ليسيرا معا دون اتفاق مسبق ٠ شعور حقيقى داخلهما يدفعهما الى هذا التصرف ٠

تقبل علينا الحياة عندما نحبها ٠ فى الأيام التالية لم أكن أحارب قدرى بل كنت أساعده فى التحول ٠ بتغيير نظرتى للأشياء والناس ٠ باثبات وجودى فيما أسند الى من أعمال ٠ بالخروج من حصار الاكتئاب الذى سمحت له أن يحيطنى ٠ هذا المرض الذى لم تطرده عنى عقاقير الأطباء ٠ وذهب عنى فى يوم ربيعى منعش فيما بين الغروب والمساء وهذا الرجل يحدثنى وابتسامته الحلوة تملأ كل وجهه ٠ منذ فترة بعيدة كنت لا أنظر فى وجوههم ٠

اتغافل معنى النظرات ٠ كنت لا أدرى أن بعض الوجوه تمنح مثل هـذه الابتسامة التى تشفى من الأمراض وبعض الكلمات الصادقة يمكن أن تساعد انسانا فى الخروج من حصار الاكتئاب ٠

وكنت اسـير منتشـية بتحول قدرى عنـدما قـابلنى الوجه القديم ٠ خرج الى مثل الشبح من وسط المقابر ليؤنبنى على ذنب لم اقترفه ٠ ليتهمنى أننى سبب موت « الحب الذى كان » ٠

نظرت اليه ٠ لم أتحدث ٠ قررت الا اتحدث عن أخطاء المـاضى أو اناقشها أو أحيل الاتهام عليه ٠ لقد كان فى قدرى القديم الملىء بالأحـزان والاكتئاب ٠ وقـدرى المتحول يرفض اشـباح المـاضى وعفـاريت الخـرائب هـذه التى تخرج الينا أحيـانا من خرائب أحلامنا القديمة لتخيفنا أو لتكيل الينا الاتهام ٠

داخل كل انسـان شىء حقيقى لابد أن يسـتمع اليه ٠ لكننا أحيانا نقتل هـذا الشىء الحقيقى بالاستسلام لكل ما هو موجود فى حياتنا أو مفروض عـلى وجودنا ٠ ونكون غير مرتـاحين ٠ لا ندرى من أى شىء تماما ٠ فنشعر باكتئاب ٠ فهمت هـذا الشىء الحقيقى فى داخلى واستمعت له ٠ لكن ربما سلامى مع نفسى لم يكتمل بعد فعاد الى شعور الاكتئاب بظهور شبح المـاضى ٠

ربما زاد هـذا الشعور عندما ذهبت اليها ٠ أو ربما وجدت أن هـذه الزيارة تليق بشـعور الاكتئاب المبـاغت ٠ من فترة لم أزرها ٠ كنت أزورها بحكم وجودها فى فترة من حياتى كصديقة ٠ ولأول مرة الاحظ أن بيتها صامت صمتا ثقيلا ٠ الستائر الزرقاء المقاعد الداكنة ٠ الصور الكلاسيكية القاتمة ٠ الزهور الصـناعية التى انطفأ بريقها ٠ مقبرة عظيمة من مقابر العظماء ٠

لامتنى لأنى لا أزورها · حدثتنى عن أشـــباح الماضى وكيف كانت الحياة معهم جميلة · وأن الناس الآن أصبحوا وحوشا لذلك فضلت أن تغلق بابها فى وجه أى طارق وتسدل ستائرها القــاتمة لتعيش فى أمان · لفت سيجارة وسألتنى اذا كنت أرغب فى واحدة · قلت اننى أفضل أن أعيش فى الحاضر ·· كدت أن ألومها أو أنصحها أشارت بيدها أن أصــمت واتهمتنى بالجحود لأنى غير مخــلصة للمــاضى · شعرت باختنــاق من حديثها · من الدخــان الأزرق والســـتائر الزرقاء ·

فى يوم بعيد عادت صديقة من الخارج بعد سنوات أمضتها فى بلاد العالم المتحضرة ، عادت لتجدنا مازلنا فى حالة ركود أفكارنا وأسلوب حياتنا وبكائنا على أشباح المــاضى · تقززت منا وقالت اننا لســنا مفروضــين عليها بحــكم وجودنا من زمن فى حيــاتها · وصدمتنا · الآن أفهم معنى كلماتها · أفهم هــذا الشيء الحقيقى الذى فى داخلهــا واســتمعت له · أفهم معنى هــذه التحولات فى قــدر الانســان ·

خرجت الى الطريق · مع نسمات الربيع المنعشة فى هــذا الوقت فيما بين الغروب والمســاء · تذكرت صــلاتى فى المســجد الأقصى ودعائى · وتحول قدرى فى اليوم التــالى · مع نســمات الربيع الواعدة أخذت قرارا حاسما فيما يسمى بالمــاضى · تذكرت الابتسامة العريضة التى تملأ السماء · وهــذه الأرقام التى كتبها على جانب من ورقة كلماتى فى الندوة · من الطريق أدرت الأرقام · جاءنى صوته مباشرة ·

ـــ هل كنت تنتظر أحدا ؟

ـــ لا أجامل ولا أبالغ اذا قلت اننى أنتظر صوتك ٠٠

ـــ هل لديك موعـــد ؟

ـــ موعدى معك ٠٠ هو ما أنتظره ٠٠

تقبل علينا الحياة عندما نحبها ٠ ونكون جديرين بشـعور الغبطة ٠ وذهبت لالقاه ٠

— ٢ —

أزرق ٠٠ رمادى ٠٠ أسود

أنا : ما اسم وطنك ؟

هو : الانسانية

أنا : أين بلدك ؟

هو : العالم كله

أنا : لك زوجة ؟

هو : كل امرأة اضاجعها

أنا : لك أطفال ؟

هو : اثنان يحملان اسمى

أنا : يعيشان معك ؟

هو : فقط يحملان اسمى

***

السماء زرقاء · مضيئة · الأطفال يتطلعون الى وجوهنا · يلعبون · يرقصون وينظرون الينا فالكبار أيضا يدخلون الحديقة ·

★★★

أنا : لك بيت ؟

هو : لى مكتبة كبيرة وكنبة

أنا : أين ؟

هو : فى بلد من بلاد العالم

أنا : تعيش فى خيال الكتب ؟

هو : أبحث عن الحقيقة فيها

أنا : وجـدتها ؟

هو : لا · فأبحث عنها بين الناس ·

★ ★ ★

الطريق مزدحم بالناس · يخيل لى انهم يتطلعون الينا فأتحاشى النظر الى وجوههم · المعروضات فى الدكاكين · أحمر · أصفر · أخضر · كل الألـوان معروضـة · الناس تبهرهـا الألـوان فتقف امامهـا · تفكر ثم تدخل لتقتنيهـا · أو تسـير وهى تفكر كيف تقتنيها ·

★ ★ ★

أنا : كم بلدا زرتها ؟

هو : بلاد كثيرة

أنا : هل وجدت الحقيقة ؟

هو : ربما أجدها يوما · جزء منها يظهر لى الآن ·

أنا : ما هو ؟

هو : وجـــودك

أنا : ماذا يعنى وجـودى ؟

هو : ولادة جديدة لى

أنا : وجه جديد لا اكثر

هو : وجهك ليس جديدا · رأيت مثله كثيرا · نفس الملامح والقســـمات ·

★★★

المطعم صغير والناس قليلة · جدرانه مغطاة بالخشب البنى والمناضد نظيفة · الرجل يتحدث لغات كثيرة يشير اليها فى بداية حديثه لتختار لغة تحدثه بها وتطلب ما تريده ·

★★★

أنا : الجديد الأرض التى ترانى عليها

هو : الجديد الشعور الداخلى الذى يغمرنى

أنا : ما هو ؟

هو : راحة نفسية

أنا : تجعلنى اضحك

هو : لا اكـذب

أنا : أصـــدق

هو : أول مرة فى حياتى أشعر باطمئنان

أنا : لا يوجد استقرار فى نفسك

هو : الاســتقرار النفسى ليس البيت أو العمل أو الوطن شيء أشعر به بوجودك

أنا : تبـالغ
هو : لا أكـذب
أنا : تشعرنى بفرحة
هو : ليتنى أستطيع أن أشعرك بسعادة
أنا : السعادة شىء أعمق وأبقى من الفرحة
هو : لم أشعر بسعادة حقيقية فى حياتى
أنا : ربما لأنك لم تحصل على الشىء الذى تريده
هو : وأنت ؟
أنا : شعرت بها مرة
هو : على أى شىء حصـلت ؟
أنا : شهادة اتمام دراستى الجامعية ٠

★ ★ ★

المركب تتمـايل بهـدوء ٠ تداعبنـا ٠٠ تداعب عواطفنـا ٠ وصاحبها مسرور لاختيارنا فأدار لنا الراديو ٠

★ ★ ★

هو : لا تحبين الدراسات العليا ؟
أنا : أدرسها وحـدى فى الحيـاة
هو : نتشابه فى أشياء ٠ ماذا لو صـــحبتنى فى رحلتى لتكملى دراستك
أنا : خيـــالى
هو : لن نتكلف كثيرا ٠ نسافر على ظهر مركب ٠ نشترى سيارة نتنقل فيها للبلاد ، ننام فيها ٠
أنا : لا أحب أن أعـذب جسـدى
هو : مرفهـة
أنا : النفس تتعذب ٠ هـذا يكفى

هو : الهندى يعذب جسده لتصل نفسه الى السمو الروحى

انا : لا يعجبنى تعذيب الانسان لجسده ، يكفى اننا فى عصر التعذيب النفسى

هو : لن ننام على مسـامير

انا : سننام عليها بصورة أو بأخرى

هو : لنتحمل عذاب النفس والجسـد الى أن نصـل الى الحقيقة

انا : تجعلنى اضحك

هو : عاطفة عجيبة تجذبنى نحـوك ٠

★★★

السـماء لونها رمادى مشرب بالحمـرة ٠ الأنوار بـدأت تظهر ٠ شريط طويل منهـا ينعكس على النهر ٠ غمرتنى نشـوة فجريت قليلا ٠ جرى باحق بى ٠٠ وقفت أمام صندوق للمياة الغازية٠ قبل أن أسأل الرجل شيئا مد يده وأخرج زجاجتين ٠ شربنـاهما سريعا ٠

★★★

انا : بأى شىء تؤمن ؟

هو : الحرية

انا : ما هو عملك ؟

هو : كل بلد أعمل فيها العمل الذى أجـده

انا : ماذا تريد أن تعمل ؟

هو : عندما أستقر سأفكر

انا : لا شىء يربطك بمكان ٠ لا كتبك ٠ ولا طفلاك ٠ ولا امرأة تحبها ولا عملا تريده ٠

هو : سأرتبط بالمكان الذى تستقر فيه نفسى

انا : لا أجد انسانية فى تركك طفليك

هو : صدقيني لم أرغب في انجابهما · أم كل واحد منهما أرادت أن تحتفظ بتذكار حي مني ·

أنا : مغـــرور

هو : لم أحب

أنا : لكن ·· كيف

هو : التعارف كان دائما في الفراش وهـذا ليس حبا ·

★★★

الليل · المنازل المضاءة والطريق الهادىء · شـاب وفتـاة يسيران في تقارب أكثر منا ·

★★★

أنا : لن تحب أحـدا

هو : سأحب عندما تستقر نفسي

أنا : ستستقر نفسك عندما تحب

هو : هل تصدقين ·· أشعر ببداية استقرار نفسي

أنا : لا تضللني · غدا ستذهب

هو : لكن · النفس الهائمة تنجذب الى مكان استقرارها وراحتها

أنا : ماذا تعني ؟

هو : اذا وجدت هـذا الشـعور حقيقيـا وأنا بعيد عنك فستجدني أمامك ومعي كل كتبي

أنا : ربمـا لا ··

هو : أرجو أن أجـدك

أنا : ····

هو : قولي شيئا قبل أن أذهب

أنا : وداعـا ···

— ٣ —

قصة حب حفظت فى أرشيف

وأنا أقدم أوراقى للسفر فى بعثـة للخـارج • قالوا لى أن هناك ورقة لابد أن أحضرها من الأرشيف فى هـذا المبنى الحكومى الكبير • قالوا لى اسم الموظف المختص • ووجمت •

كانت الحجرة شـبه مظلمة من الأرفف المعلقة وسطها وعلى جدرانها • من الدوسيهات المتراكمة • من التراب • وقفت ببابها • وكان جالسا خلف منضدة صغيرة يقلب فى أوراق • ألقيت تحية • رفع رأسه أغمض عينيه ليضيق من حدقتيهما ليركز على وجهى • ابتسمت له • سأل •• من •• وتقدمت اليه • عندما اقتربت وقف ليسلم على مرحبا وانفرجت شفتاه بابتسامة مثل شرخ فى جـدار قديم • قلت له عن طلبى • وجلست انتظر •

★ ★ ★

كنا نلعب معا • نتشاجر أحيانا • نضـحك كثيـرا • نكتب خطابات قصيرة نتبادلها خلسة عندما يسلم بعضنا على بعض • قال الأهل : خلقنا لبعضهما • لكن لا يصـح الحديث فى هـذه الأمور الغامضة على عمرينا • لم يكن هناك « تليفزيون » يبصر الصـغار

الى قصص الحب ومعنى تلك المشاعر التى بدأنا نشعر بها · كنا ننمو معا · وكانت هناك مشاعر أخرى فى نفسى تنمو معى ·

عشت صباى فى بقايا مرحلة زمنية كانت تباع فيها الفتيات باسم الزواج لمن يدفع الثمن · ولم يعجبنى المنظر · مرحلة كانوا يفضلون فيها دراسة البنت للأعمال المنزلية وفن ممارسة ارضاء الرجل · وقررت ألا أدع سوط المعلم يهوى على ظهرى · رفضت باصرار أن أساق الى حظيرة الأبقار لعلفها وتحضيرها للشارى ·· وربما كانت العائلة زاولت مهمتها مع اخواتى البنات الكبريات فلا يوجد لديهم ولد · قالوا لتدرس هذه البنت الأخيرة دراسة الولد · وهكذا دخلت الى المرحلة الثانوية بانتصار مبدئى ·

فرح رفيق طفولتى اننا سنستذكر معا · وباركت العائلة قصة الحب التى تنمو تحت مراقبتها · فمادامت عائلة الولد تملك أرضا فهى قصة حب مباركة ! · كان ينجح فقط وكنت أنجح بتفوق · وكان يقول لولا استذكاره معى ما كان نجح على الاطلاق ·

وعلى أبواب العالم الكبير المنفتح · على ابواب أخذ مكانة حرية فى العالم الجديد · قال حبيب صباى أن أمه ستحدث والدى لتحجزنى له · وصرخت فى وجهه : تحجزنى ! هل انا بقرة لتحجزنى · تخاف أن يأتيها شارى قبلك فتحجزنى ؟

« أتذكر نظرته الواجمة غير الفاهمة لكلمات ثورتى »

— أمك تحدث والدى ·· ولماذا لا تحدثنى أنت ؟

— الخطبة الرسمية لابد أن يتحدث فيها الأهل ثم يسألونك وتقولين كلمتك ·

— سأقول لا ·· اذا حدث هذا ··

(أتذكر ثورته) ·

— اذا دخلت الجامعة فلن أتزوجك ·

— ماذا تريد ·· هه ··

— نتزوج وتمكثين فى البيت · سأصرف من دخل أرضنا ·

— ولماذا ستذهب أنت الى الجامعة ؟!

ـــ أنا ولد

ـــ طظ ٠٠

« الحرفان الأخيران اللذان نطقت بهما كنت أقولهما له ولأى صبى يذكر كلمة التفرقة بين الولد والبنت أو التعالى بأنه ذكر ٠ لم أعرف معنى الحرفين للآن ٠٠ ربما معناهما ٠٠ لا يهم ٠٠ بنوع من التركيــز والسوقية » ٠ وتحــدث حبيب صــباى مع اخــواتى المستكينات فى بيوتهن الزوجية ٠ وتحدث مع والدى ٠ سألهم بفزع كيف سيسمحون بهـذه المهزلة تحدث فى العائلة ٠ أن تذهب واحدة منها الى ذلك العالم المختلط ؟!

أختان من الأربع أخــوات كانتا غير سـعيدتين فى حياتهما الزوجية فوقفتا بجانبى بفكرة أنه لابد أن يكون فى يدى سلاح ضد غدر الزمن ٠ وهــذا السلاح اسمه شهادة جامعية وعمل محترم ٠

وحدث انقسام فى العائلة ٠ أختان معى ٠ وأختان مع والدى وحبيب صباى ٠ وكأنهم يقولون لى أن الذهاب الى الجــامعة لن يكون الا فوق جثثهم ٠ كرهت المناقشات ٠٠ وكرهته ٠ وزادت رغبتى فى التحدى ٠ وبالرغم من أن جانبى كان قليل العــدد الا أن قوة الاصرار وصدق الحق جعلنى أفوز فى ذلك التحدى ٠ وقلت لحبيب صــباى ٠ الأفضل أن ينتهى ما بيننا ٠ واختفى ٠

ربما افتقدت لفترة زياراته لنا ٠ وتجسم لى لفترة على المقعد الخالى بجوار مكتبى ٠ وربما الحيــاة الجــديدة وبداية البحث والاصرار على طريق حرية فى العالم الجديد شغلتنى عن قصتى معه ٠ وكانت بداية طريقى فى التحدى لاثبات أن الفتاة بحريتها واعتمادها على نفسها يمكنها أن تتســاوى حقيقة بالفتى دون أن تسىء الى نفسها ٠ بداية طريق فى ظروف اجتماعية حرجة ٠ فى فترة انتقال بين عقول لا تريد أن تفكر وتتحرك مفضلة جمودها ٠ وعقول تريد أن تخرج من سجونها لتحلق بالعالم المتحضر ٠ سنين طويلة مرت فى الدراسة والعمل والحب المكتمل ٠ وبقايا مناقشات عقيمة ٠ هل نرتبط بالحب أم بالمصلحة ؟

★ ★ ★

نظرت اليـه وهو مـازال يزحف بعينيه ويديـه بين الأرفف والدوسيهات انه فى مثل عمرى ٠٠ ماذا حدث له ؟ كنت أسـمع أخباره من حين لآخر ٠ لم يكمل تعليمه ٠ لم تكن لديه موهبة يستغلها فى عمل ٠ تزوج صغيرا ٠ أنجب ٠ اختفت أخباره ٠ وها هو امامى فى حجرة عطنة مظلمة ولم يعرفنى ٠

البدلة التى يرتديها مرت عليها سنون ٠ يبدو من نسجها ٠ وشعرت بكآبة لصورة تمثل مئات الموظفين الصغار الذين ليسـت لديهم موهبة ٠ تطحنهم مطـالب اليوم ٠ ومتـاعب الحيـاة تميت طموحهم ٠ وتصـبح الابتسـامة مثل شرخ فى وجوههم ٠ يفقدون المعنى الحقيقى للحيـاة لأنهم يفقـدون المعنى الحقيقى للعمـل ٠ لا يعيشون تماما ٠ لأنهم لا يعملون تماما ٠ ٠

اقترب منى ٠ الورقة في يده وعلى وجهه هـذا الشرخ المعبر عن ابتسامة قال :

ــ بددت ما ورثته سريعا ٠ الحياة حمل ثقيل ، هل تدرين أن أمى اعترضت عليك يوما لأنك لا تملكين شيئا ٠ لو كانت تعيش الآن لتحسرت على ابنها ٠

قلت ساهمة :

ــ انا مازلت لا أملك شيئا

قال مقـاطعا :

ــ تمـــلكين كل شىء ٠٠ هل تـدرين ٠٠ كـانت تعجبنى آراؤك وشخصـيتك لكن كنت أخاف منك ، شـعرت انك ستسـبقيننى فى الحياة ٠ قـلت لتسبقينى وأنا بعيد عنك أفضل من أن تسبقينى وأنا بجانبك ٠

اننا نفرح عادة بلقائنا مع قصة حب صبانا بعد سـنين من فراقنا ٠٠ لكنها كانت لحظات ثقيلة معى ٠

— ٤ —

القمر مازال بدرا

« حبيبى ٠٠ اليوم القمر بدر ٠٠ ولا أحب أن أرى البدر فوق أكوام قمامة » ٠

« حبيبتى ٠٠ هـذا المساء سنذهب بعيدا عن كل ما يضايقك »٠

فى هذه الأيام ٠ كلما ذهبت الى مكان أسمع ضجة ٠٠ أصبحت أذناى تؤلمـاننى ٠ استمعتا الى الكثير من ضجيج الأصوات والكلمات ولم تعودا تحتملان ٠ قال الطبيب ببسـاطة من لا يدرى عما يحدث خارج جـدران عيادته الأنيقـة وبيته الهـادىء ٠ أن أبتعد عن الضـجة ٠٠ !

فى هـذه الأيام كلما ذهبت الى مكان أشم رائحة عطنة ٠ عفنة ٠ لا أدرى تماما أين مصدرها ٠ قالوا : اهمـال فى نظـافة الطرقات والمساكن ومعظم الأماكن ٠ أكوام القمامة تصنع هـذه الرائحة ٠ مياه المجارى الطافحة تصنع هـذه الرائحة ٠ قلت : أحيانا لا أرى أكوام القمامة ولا مياه مجار ومع ذلك تزكم الرائحة أنفى ٠ فمن أين تأتى أيضا ؟ ! ٠ قالوا : من الأحذية ٠

نصحونى أن أنظر الى الأرض وأنا أسير فى الطريق حتى لا أتعثر فى هــذه الأشياء المثيرة للضيق · وأن أبتعد عن الأماكن المزدحمة ·· ! ·· لم أعد أنظر الى وجوه الناس فى الطريق وهــذا شىء أراحنى · لأنى أصبحت أرى الوجوه متشابهة ·

عندما بدأت أنظر الى الأرض حسـب نصـائحهم وجـدت الأحذية أيضا متشابهة · ربما حقيقة هــذه الرائحة العفنة تخرج منهـــا ·

* * *

قلت لزملائى عن هــذه الأشياء التى تضايقنى · قالوا انها تضايقهم أيضا · قالوا نكتب شـكوى · وكتبنـا · لم نعـرف لمن نرسلها فعلقناها على جدار الحجرة ·

* * *

دخلت الغندورة حجرتنا · دارت بين المكاتب الى أن وصلت لمن تريد محادثته · فارعة الجسد · نحيفة ترتدى اللون الأخضر رداؤها · حقيبتها · حذاؤها معطفها · حتى شعرها الأصفر خيل الى أن لونه أخضر · تخيلتها نخلة ستطرح قريبا بلحا ، وضحكت · ربما تخيل اثنان من زملائى ما تخيلته فضحكا · قالت الغندورة انها لا تفهم لـــاذا الحقد فى نفوس الناس مع أنهم فى مواقع عمل هامة · وشعرنا أنها تعايرنا بما نبتلى به أحيانا فزادت ضحكاتنا ·

نعرف قصة حب الغندورة ورئيسها وقصة زواجهما· نعرف كيف جعلته يلهث وراء جمالها ومجد عائلتها القديم الذى أصبح مجرد ذكرى · تاركا زوجته وأطفـاله · نعرف أن زوجتـه الأولى رفضت الطلاق حتى تعذبهما بمطالبها ·· وقسم الرجل أيام أسبوعه بينهما · وابتليت الغندورة بما نبتـلى به أحيـانا فلماذا تعـايرنا

بحقدنا عليها ؟ ! نعرف أن رئيسها سأل آخر أقل منه فى أهمية المركز أن يوظفها فى ادارته ٠

« أوامرك ياسعادة البك ٠ نوظف من تريد عندنا ٠ حتى وان أردت أن نوظف جدتك سنفعل » ٠

وظنت الغندورة انها تحيى مجد عائلتها بهـذه الجلبة التى تفتعلها وتزيد من ضغط الضجيج على آذاننا ٠ ظنت أن قصة حبها وزواجها من الأهمية حتى يمكن أن يقال الخبر فى الاذاعة العامة ٠ وتحكيها اذاعة « مونت كارلو » بعد اعلان عن السجائر العالمية ٠ وتناقشها اذاعة « صوت أمريكا » فى برنامج « هل لديك سؤال » ؟: وكأن قضيتها أهم من قضية الشرق الأوسط ٠ واعتقدت أننا انشغلنا بها عن قضية مشاكلنا اليومية ضحكنا من خيالها ٠ قصة عادية حدثت فى الأزمان القديمة والحديثة وستحدث دائما فى كل زمان ومكان ٠ صدعت بها رؤوسنا ٠ فالعلاقات العاطفية لا تثير الدهشة لمن فهم تقلب العلاقات الانسانية ٠ وقد فهمنا ٠

★ ★ ★

نظرت الغندورة الى جدار الغرفة وهى تتركها وسألت بامتعاض عن هـذا الشىء الذى نعـلقه فوق ٠ قال أحـد اللذين ضـحكا ٠ « اعلان عن حقدنا ٠ لا اكثر » ٠

★ ★ ★

« حبيبتى ٠ سنذهب الى مكان بعيد ٠ جميل ٠ نظيف ٠ نستعيد فيه ذكرى ونتحدث » ٠

مكان دافىء بالأضواء والثراء والناس المتأنقة والموسـيقى العذبة ٠ كأننا ركبنا طائرة وليست سيارة انتقلنا الى بلد أخرى ٠

لكن من حين لآخر أشم هـذه الرائحة العفنة · قلت : ربما التصقت بجدار أنفى ولن أتخلص منها أبدا ·

سـألت حبيبى أن نخـرج من المكـان · نذهب بعيدا عن كل جدرأن · وكل ضجة حتى وان كانت ضجة أنغام حلوة ·· ووافقنى ·

صعدنا الى هضبة الأهرامات · جلسنا فى الصحراء ·

قال : « معك الحق · الجو هنا نقى عطر · مثل رائحة أنفاس الأطفال » ·

تحدثنا · تعاتبنا · تبادلنا الاتهامات · تصافينا · تناجينا ·· التصق جسدانا لنستشعر الدفء وضوء القمر يحتضننا ·

سرنا · جرينا · وقفنا بجوار الأهرامات

قلت : « يؤلمنى أن تصل الى هـذا المكان الضجة والرائحة العفنة » ·

قال : « كثيرون يؤلمهم هـذا وقد كتبوا شكوى » ··

قلت : « هـذا الصباح كتبنا شكوى وعلقناها على جـدار حجرتنا » ·

ضمنى اليه وهو يضحك · أضاءت ضحكته مشاعرى والليل يودعنا صامتا ومازال القمر بدرا ·

— ٥ —

صداع الصباح

مر على مكاتبنا عامل البوفيه · سألنا ماذا نشرب · قال كل منا طلبه هامسا · ورؤوسنا منكبة فوق الأوراق أمامنا · بعد دقائق عاد يحمل سبعة فناجين قهوة وشريطا من أقراص الأسبرين · وزعه علينا · رفعنا رؤوسنا من فوق المكاتب · تبادلنا النظرات وضحكنا · لم تكن ضحكاتنا صافية ·

قال أحد الرجال ـ ماذا جرى لنا هذا الصباح ؟

قال آخر ـ قل ماذا حدث لنا فى المساء حتى أصبحنا بصداع فى رؤوسنا !

تحدثت الزوجات عن مشاكلهن · وتحدث الأزواج عن متاعبهم · واستمعنا بملل لوجه واحد من الحقيقة · التفت الى أحدهم وسألنى · ولماذا أنا عندى صداع ؟

هززت رأسى فى صمت · كل منهم يعتبر مشاكل الآخر ترفا بجانب مشاكله · لم أرد ·

وفجأة بدأت مباراة فى تبادل الاتهامات بين الرجال والنساء. من الذى يسبب الصداع للآخر ؟

رشفت آخر قطرة من فنجان القهوة . وكان لرحيقها الدافىء سحر خاص فى أنفى لا أدرى لماذا ذكرنى برائحة أنفاس حبيبى فانتشيت . وتضايقت من المباراة الدائرة حولى فقلت حانقة :

ـــ اثبتوا وجودكم بأعمالكم أحسن

العمل ؟ ! وكأنى ذكرتهم بشىء . صمتوا لحظة . ثم بدأت مباراة أخرى لاثبات الوجود وتبادل الاتهامات بين الرجال والنساء. من الذى ينجز فى العمل ومن الذى يعطله ! . أراد أحد الرجال أن يغير موضوع الحديث فالتفت الى وقال :

ـــ استعدى لفاجأة . ستجديننى بعد منتصف آلليل أفتح باب حجرتك فى منزلك .

أولا انزعجت . ثم ابتسمت وسألته : **كيف ؟**

قال ـ أقرأ كتابا فى الروحانيات وكيف يمكن أن نذهب لشخص ما بروحنا مجسدة . سأل البعض عن اسم هذا الكتاب ليقوموا بتجارب مماثلة . قال أحدهم متذمرا : ما هذه اللكاعة . الذى يريد أن يذهب لشخص ما . فليطرق بابه يستأذنه .. لماذا تزعجون الآخرين وتعذبون أرواحكم ؟

ثم التفت الى صاحب كتاب الروحانيات وقال : عرفنا الآن حقيقة صداع رأسك . من تجاربك الروحية الفاشلة .

ارتفعت أصواتهم مرة أخرى . ماذا يقولون ؟ . يتحدثون عن مبادىء العمل يتشاجرون فوقها .

زعق أحدهم ـ اخفضوا أصواتكم رؤوسنا ستنفجر ٠

قال آخر ـ اغلقوا الباب ٠

قلت ـ افتحوا النافذة ٠

قلوا ـ الجو بارد ٠

قلت ـ الجو دافىء اليوم ٠

قال صاحب كتاب الروحانيات ـ طول عمرك لا ترين الحقيقة ٠

قلت ـ الحقيقة دائما لها وجهان ٠ وربما أنا أرى الوجه الذى لا ترونه ٠

وانتهت ساعات عملنا فى المناقشات والمهاترات وانجاز بعض الأعمـال ٠

★ ★ ★

هؤلاء المضـللون ٠ هـذه هى الشـمس سـاطعة ٠ دافئة ٠ واعدة ٠ هـذه حقيقة أراها كما أرى حبيبى ينتظرنى ٠ احتضنت يديه فى سلام ٠ احتضنت عيناه وجهى فى اشتياق وقالت شفتاه ٠٠ « أحبك » ٠ وكان لوقع الكلمة فرح فى قلبى ٠

ـ ياحبيبى ٠ حـلمت ٠ بحـديقة وطيور مغـردة ٠ فرحت بصـوتها ٠ وقمت منتشـية بالحـلم ٠ جمعت ملامح وجهك فوق وسادتى ٠ احتضنتها ونمت على أمل أن أحلم حلما آخر طيبا ٠ لكن الحلم الثانى كان مزعجا ٠ كنت وكأنى فوق لعبة من ألعاب الألغاز حائرةفوق سطح كبير لبناء ٠٠ به سلالم كثيرة ٠ صـاعدة

وهابطة ٠ لم أدر أى سلم أصعده وأى سلم أهبطه لأخرج من لعبة الألغاز هـذه ٠٠ قمت منزعجة ٠٠ مكدرة وفى رأسى صـــداع ٠

قال ـ سأحقق حلمك الأول ٠ وانسيك الثانى وستشفين من الصـداع ٠

★ ★ ★

ذهبنا الى مكان جميل ٠ واحة وسـط صـحارى حياتنا ٠ الطيور تغرد تسبح،تلعب لعبة الحب والغزل ٠ وغنينا ٠

ازعجنا الطيور بصوت غنائنا ٠ طارت ٠٠ صمتنا ٠ وضحكنا من هفواتنا ٠ قطعنا ثمار الشجر ٠ انعشنا المكان بعبق رحيقه ٠ ملأناه بحلو وجودنا ٠

ـ ياحبيبى ٠ اختفى صــداع رأسى ٠ ليتنى أبقى دائمــا بجانبك ٠ أخفى شفتاه فى خصلات شعرى ٠ حتى لا يقول شيئا ٠ ربما يزعجنى ويؤلمه ٠ قلت لأعيد المرح الى لقائنا :

ـ هـذا الصباح قال أحد زملائى انه يقرأ كتابا فى الروحانيات وسيزورنى بعد منتصف الليل بروحه مجسمة ٠

ـ سأقتله ٠٠

وضحك هـذه الضحكة المضيئة ٠ احبها ٠ اقول له اشياء كثيرة مضحكة ٠ لأرى ٠ لأسمع ضحكته ٠ قال أن صحبتى تزيل عنه هموم الحياة ٠ وكأن الله خلق البهجة فى صورتى ٠ والوجه الآخر من الحقيقة الذى لا يراه ٠ فى داخل اغوار نفسى ٠ بقعة حزن ٠ مثل « الوحم » ولدت بها ٠ أو ٠ مثل الوشـم لا ينمحى ٠ تمنيت

كثيرا أن يزيلها الحب · لكن فرحته لم تتعمق فى داخلى لتزيلها · ولم أعرف السبب أم أنا أعرفه ؟ ! ·

سألنى ــ لمــاذا أنت صامتة ؟ !

ــ أفكر فى حبنا

ــ لننعم بهــذه اللحظات التى يجود علينا بها

ــ الحب ياحبيبى كمــا أتمناه · أمل واستمرار وانتمــاء ·

لا يمكن أن يظل حبنا هكذا ســاعات من الســعادة الوقتية والأحلام الوهمية ·

ــ هــذا أمر يشغلنى أيضا ·· لكن ··

ــ لا تقل هــذه الــ ·· « لاكنات » ·

صمت · سيقول اننى أفسد ساعات لقائنا الحلوة بمثل هــذه العبارات · ونتخاصم فى صمت ونتصالح بعد أيام فى اشتياق ·

قال ــ ياحبيبتى · مطالب الحب أصبحت صــعبة فى زماننا

ــ اذا كان حقيقة لن تكون أمامنا صــعاب

ــ أمازلت تؤمنين أن الحقيقة لها وجهان ؟

هززت رأسى ·· نعم ·· ابتسم وهمست شفتاه « أحبك » وكان لوقع الكلمة حزن فى قلبى · فعندما تأتى لحظة الوداع · يذهب مرحى وتثور أشــجانى · ويظهر لى الوجه الآخر من الحقيقــة · فأعود الى الليل الخالى وصمت الجدران · وتزورنى أحلام مثل الألغاز · تثقل رأسى · ويســألوننى فى الصــباح لمــاذا يصــيبنى الصـــداع ؟ !

— ٩ —

سميناك باسمها ·· مريم ·.·

قلقت كثيرا فى الليلة المـاضية · وكانت احلامها مبهجة . ومقبضة ، واختلط الابتهاج بالانقباض فقامت من نومها قلقة ، ولم تعرف لمـاذا ؟

قررت ألا تعاود محاولة النوم الفاشلة · مع موسيقى هادئة واغنية عاطفية من اذاعة بعيدة ساهرة ، نزلت دموعها صـامته · ولم تعرف لمـاذا ؟ !

فى الصباح قبلتها الصغيرة وسألتها :

« أين ستقضين يومك الجميل يا خالتى ؟ » ·

لم تعرف بماذا تجيبها · احتضنتها · قبلتها ·· شكرتها على تذكرها · وسألتها الصغيرة ·· هل ستذهب اولا لتضىء شـمعة للعذراء ·· نظرت اليها متسائلة بدورها · لمـاذا تذهب ، هى تعرف لمـاذا لكنها تجاهلت الاجـابة ·

قالت الصغيرة : « يا خالتى كانت هـذه الزيارة تسعد جدتى وكنيسة العذراء فى الشارع المجاور » ٠

نظرت اليها متسائلة ٠٠ لـماذا ٠ قالت الصغيرة : « حكت لى أمى الحكاية ٠ كيف كانت جدتى متألمة ، متعسرة فى الولادة وكان جدى يستمع الى القرآن الكريم من الاذاعة ٠ كانت سورة مريم ، وتخيلت جدتى عذاب العذراء فى الولادة ، تخيلت وجهها المتسـم بالوداعة كأنها تبتسم لها ، وولدتك بسـهولة فى تلك اللحظـة ٠ ولـما قالوا لها : بنت ٠ قالت ٠٠ مريم ٠

اضاءوا كنيسة العذراء المجاورة بالشموع وسموك باسمها ٠٠ مريم ٠ من أجل ذكرى جدتى لا تنسى هـذه الزيارة » ٠

ابتسمت مريم للصغيرة ووعدتها أن تذهب ، ففرحت وجرت لتعد لهما احتفالا خاصا على فطور الصباح ٠ تأثرت مريم لفرحة

الصغيرة ، وتأكدت أن أختها قد لقنت ابنتها الكلمات حتى لا تنسى هـذه الزيارة ٠ ،

أخذت اسمها ٠ مريم وصفتها العذراء تزوجت وطلقت وبقيت صفتها تلازمها ٠ العذراء ولم يعرف أحد لـماذا ؟

نادت الصغيرة على خالتها ، وكادت الدموع أن تنهمر من هـذا الاحتفال الصغير الذى أعدته لتفرحها ٠ لتكون أول من يحتفل بها فى يوم ميلادها ٠

★ ★ ★

ذهبت الى الكنيسة العذراء كانت خالية الا من مجموعة من الراهبات فى المقدمة يتدربن على تراتيل ٠ أضاءت ثلاث شمعات واحدة للعذراء وواحدة لأمها وواحدة لـ ٠٠ لم تذكر الاسم وهزت رأسها يائسة ٠ الأصوات الناعمة الجميلة والشمعة التى لم تذكر اسما عليها أثاروا أشجانها فجلسـت ٠ دارت رأسـها فى المكان

وتذكرت عندما بدأت تعى الأشياء وسؤالا حائرا لأمها ٠٠ لماذا اصرارها على اضاءة الشمعة ، وابتسامة أمها ، وقولها ٠٠ سميناك باسمها ٠٠ مريم ٠

رنت فى أذنيها كلمة العذراء ٠٠ لابد أنه توجد لعنة ملتصقة بها ٠ فما معنى أن يكون كل شىء يسير على ما يرام ويظهر فجأة ما يعكره ٠ ما يعكرها ان لم تكن ظروف ، فهم ناس ٠ فهو ٠٠ هو ٠ فهى ٠٠ هى ٠٠ تراءت لها ذكرى الماضى والحاضر وقالت هذا قدرى فنزلت دموعها صامتة ٠ أخفت وجهها بيديها لتكتم صوت دموعها ، حتى لا يخرج مثل النغمة النشاز وسط نعومة الأصوات الجميلة المرتلة ٠ لم تدر كم مر من الوقت عليها ٠ رفعت رأسها ٠ خلال دموعها رأت الوجه الهادىء المبتسم بالرغم من تجاعيده جميلا ٠ والشفتان تنفرجان بدهشة لا تخلو من حنان ٠

« مريم لن تخلفى موعدك أبدا ٠٠ كل سنة وأنت طيبة » ٠

وجلست بجوارها سألتها : « لماذا تبكين اليوم يا مريم » ؟

لم تجبها ، فهى لا تدرى لماذا ٠٠ قالت الراهبة كلمات هامسة ٠ ألا تيأس ، وألا تحزن على ما فات ٠٠ مسحت دموعها وارتاحت قليلا ٠ قامت ٠

قالت الراهبة وهى تودعها : « لا اريد أن أثقل عليك وأقول لك احكى ٠٠ فقلبى مفتوح لك ٠ وأمك كانت صديقة عزيزة ٠٠ هل تصلين صلاتكم يا مريم ؟! »

لم تجبها فهى من زمن لم تصل ٠ ولم تعرف لماذا ؟!

* * *

قبلتها الصديقات الواحدة وراء الأخرى ، وقالت واحدة : « جميلة يا مريم ٠ لايبدو عليك انك وصلت الى ٠٠ »

قاطعتها مبتسمة ألا تقول الرقم :

قالت الصديقة : « لابد أن تفرحى ، انك كما شاهدناك منذ خمسة عشر عاما ٠ بل أصبحت أكثر جمالا » ٠

اقترحت واحـــدة أن يذهبن الى الحى الشـــعبى ويتناولن طعام الغذاء هناك ٠ بين المآذن والقباب ، وعبق ذكرى الأحباب ٠ انتشت مريم برائحة بخور ٠ كأنها عطر الذكريات وانتابها شعوران متناقضـــان من البهجة والشجن ، تعجبت لهمـــا ٠ وسط الوجوه لمحت وجها ترتاح لملامحه الطيبة ، يليق بالمكان أن يظهر فيه وجه من ذكرى الأحباب ٠

« هل تذكرنى يا عمى ؟ »

نظر اليها الرجل قال : « وكيف لا أذكر ابنة صديقى » ٠

قالت : « فكرت فيك كثيرا هذه الايام ، كان أبى يرتاح اليك وانا أيضا » ٠

سألها : « ما هى أخبارك يا مريم ٠٠ هل تزوجت ؟ »

وهزت رأسها ٠٠ لا ٠٠ ثم قالت : « لكن يوجد الآن رجل فى حياتى ، ومخاوفى تلازمنى » ٠

قال : « لا تخافى يا مريم ٠ لابد أن رحمة الله ستعوضك عن عذاباتك القديمة » ٠

تفاءلت بوجه الرجل الطيب ، وتعجبت من نفسها ، فهى لم تتحدث عن الساكن الجـــديد فى قلبها لأحد من قبل ٠ ولا تعـــرف لماذا ؟ !

تحدثت مع صديقاتها وضحكت ، لكن مازال شىء فى داخلها يحزنها ٠

★ ★ ★

قالت الصغيرة : « السيارة وصلت يا خالتى » ٠

ورمقتها بنظرة متسائلة ، لقد لاحظت من فترة زمن قصيرة أن شكل السيارة تبدل ولونها أيضا ، وأيقنت الصغيرة أن صاحب السيارة أيضا تبدل · ولم تعرف لماذا ؟ ! · أشفقت مريم على الصغيرة من شعور آلام التبديل · وخافت أن تحكى لها عن الفرحة الجديدة والخوف والقلق أيضا ، والنهاية المحتومة التى كتبت عليها ·

« لماذا يبدو عليك الألم ياخالتى · كأنك تحملين كل هموم العالم ، أو كأنك رسول يتعذب برسالة » ·

ابتسمت للصغيرة وأعجبت بملاحظتها وذكاء كلماتها · نعم هى تحمل اليوم هموم العالم وتتعذب بكلمات لا تريد أن تقولها للساكن الجديد فى قلبها ، لقد تعبت من سرد هذه الحكاية التى لم يصدقها أحد فقررت ألا تحكى ، لهذا الرجل بالذات ، ولا تعرف لماذا ؟ !

★★★

« كل سنة وأنت طيبة يامريم » جلست صامتة بجواره ، وهمست ترد على كلماته ·

سألها : « لماذا أنت حزينة اليوم ؟ » · « لا أعرف » ·

قال : « أنا عرفت الحكاية · كم تعذبت بجواره ، الى أن مرضت ، وكانت شهادة الطبيب فى المحكمة كافية لخلاصك · وطمع الرجال فى المطلقة الجميلة ، وتعذبت فى صمت من طمعهم · بعض الرجال لهم أفكار مضحكة يا مريم · كان يمكن ألا تكونى عذراء

وترفضيهم ايضا · كان يمكن أن تكونى فقيرة وترفضيهم ايضا ·
لكنهم لم يفهموا ، وذهب الرجل وراء الآخر » ·

سألته : « كيف عرفت الحكاية ؟ »

« من نظرة عينيك الحزينة ، كلماتك المبهمة احيانا ، ايقنت أن
هناك سرا فى حياتك · فبحثت عنه » ·

أشرقت فى وجهها ابتسامة ·· وتابع كلامه ·

« انا لن اذهب يا مريم » ·· وتعجبت لهذه الفرحة التى
غمرتها ·· لكنها عرفت لماذا ··

— ٧ —

حلم الأستاذة ٠٠ وفاء

« ماذا كانت أحلامك بالأمس يا أستاذة ؟ ! »

هكذا تسأل « وفاء » نفسها كل صباح عن أحلام الليلة الماضية ٠٠ الحلم كان طيبا بالأمس يا أستاذة ٠٠ كنت فى فندق كبير ٠٠ والفندق معناه فى تفسير الأحلام ٠٠ حياة هادئة ٠٠ ابتسمت « وفاء » ٠٠ أى حياة هادئة هذه التى تنعمين بها ياأستاذة ؟ ! ٠٠

وكانت معك ، زميلتك وصديقتك فى نفس مكان العمل ٠ ومن نفس جيلك !! ٠٠ فى الفندق رأيت وجه رجل من هذه الوجوه التى عرفتها يوما ٠٠ أعجبت به يوما ٠٠من هذه الوجوه التى اختفت من حياتك ٠

الرجل الذى رأيته جاء اليك خصيصا من بعيد ، طلب منك أن تقابلى معه أناسا مهمين لصنع مستقبله ٠٠ قلت له سأحضر ٠٠ قلت لصديقتك انك يجب أن ترتدى ملابس جديدة تليق بمقابلة الرجل الذى جاء اليك خصيصا والناس المهمين ٠٠ لم يكن معك نقود ،

واعطتك صديقتك رزمة من الأوراق المالية ·· ودخلت الى محـل لبيع الملابس فى الفندق ··

الحلم طيب يا أستاذة ·· لكن أين هذا الرجل الآن ؟ ! ··

ارتدت « وفاء » رداءها الجديد هذا الذى اشترته أولا لاستقبال فصل الصيف · وحذاءها الجديد ترددت أمام حقيبة يدها الجديدة · وقررت ان تستخدمها بعد فترة حتى لا تظهر بكل أشيائها الجديدة مرة واحدة ·

وكانت المناسبة اجتماعا فى الشركة · فكل زميلاتها يحرصن على الظهور بمظهر لائق وأيضا لافت للنظر فى يوم الاجتماع ·· وهى لاتريد أن تصبح متخلفة خصوصا أمام زميلاتها الجديدات ··! قالت أمها ، لا تتأخرى ·· اختك وزوجها سيحضران للغداء معنا ·· لم تفرح « وفاء » لهـذه الزيارة ، وبدأ الانخفاض يعترى نفسها ·

الجارات يجلسن فى ملل وحب استطلاع بجانب أبواب شققهن المفتوحة ·· كأنها تسكن بيتاً للعجائز ·· يلقين عليها تحية الصباح يسألها بعض الطلبـات ·· وهى تنزل درجـات السلم كأنها تنزل الى منخفض نفسى ·· بئر هائل من الخوف والضيق ·· عنـدما وصلت الى الطريق تنفست بشىء من الراحة ·· وتراقصت فى عينها دموع ·· ابتلعتها ·· « لمـاذا تركتنى فى هـذا الضيق ·· وبئر الخوف السحيق ؟ ! » ··

★ ★ ★

جـلست « وفاء » بين زميلاتها وزملائها فى الاجتماع ·· المهندسات والمهندسين ·· دارت نظراتها بين الوجوه ·· هـذه الوجوه مألوفه · ومن الألفة ذهب الانبهـار ·· وربمـا أيضا قل التقـارب بينهم · ولم يعد أحد يسأل الآخر عن حـاله وأحواله ··

والوجود الجديدة لشبان صغار عيونهم منصبة على الشابات الجديدات ·· الصغيرات ··

قال رئيس الاجتماع أن مهمتهم الرئيسية هى القضاء على أزمة الاسكان بمشروعات الشركة الكبيرة السكنية · كادت ابتسامة « وفاء » الساخرة تظهر على وجهها · فمن سنوات طويلة والشركة تقوم بحل أزمة الاسكان ولا فائدة ·· وقال الرجل وهو يشير الى احدى الفتيات الصغيرات ·

ـ « يعنى مثلا كيف تجد آمال شقة بمرتبها الصغير » ؟! ··

كادت « وفاء » تصرخ ·· انها بمرتبها الكبير وعمرها الكبير أيضا · لا تستطيع أن تجد شقة تليق بها ·· والحقيقة انها لا تستطيع أن تعيش وحدها ·· لا تحب ·· أم ·· لا تستطيع ؟!

★★★

بالأمس ذهبت مع صديقة لزيارة أرملة ومطلقة ·· أرملة لفترة ومطلقة الآن ·· استقبلتهما المرأة بحيوية زائدة ·· امرأة فوق الخمسين تسكن شقة صغيرة وحدها فى بقعة جميلة من العاصمة ·· حجرة واسعة للمعيشة وحجرة ثانية للنوم ·· وكان باب حجرة النوم مفتوحا ·· فراش وثير ·· وضوء أحمر ·· كدعوة صريحة لممارسة الحب ·· قالت « وفاء » للمرأة :

ـ « هـذا عش للحب » ··

قالت المرأة بحيويتها الزائدة ·· « نعم يوجد رجل أحبه ! ··

فكرت « وفاء » أن الشباب والحيوية شيئان ينبعان من النفس والقلب أولا ·· ومستحضرات التجميل الحديثة الفعالة تفعل السحر فى وجوه النساء · وحب الحياة وحيوية الحب يفعلان سحرا أكبر فى البشر ·· وكادت تسألها ·· كيف وجدت الرجل ؟ !

★★★

نظرت « وفاء » الى وجوه زميلاتها الصغيرات فى الاجتماع ·· مشرقة وجوههن ·· متألقة بالأمل · وحتى وان قال رئيس الاجتماع أن الأمل أصبح صعبا ·· الحيوية تصنع الأمل ·· السيدات المتزوجات يتحدثن حسب وقعهن الاجتماعى فى الحياة ·· الآنسات واضحات والمتزوجات واضحات · أما هى ·· وحياتها ·· ليس هناك شىء من الوضوح · فتاة تخطت الأربعين بعام ·· يطلقون عليها الأستاذة ربما منعا للاحراج !! كانوا من سنوات طويلة يلقبونها بالمهندسة · ثم لا يدرى أحد من الذى بدأ يلقبها بالأستاذة ·· وصارت الأستاذة المهندسة « وفاء » ·· حتى انها أصبحت أيضا تقول لنفسها ·· أستاذة ·· فى حالات السخرية ·· لم تعد تستطيع أن تحلم أحلام الصغيرات ·· يئست من أحلامهن ·· ولا تستطيع أن تتحدث مثل المتزوجات من مثل عمرها ·· لا تعرف حياتهن ·· من هى ·· من تكون · أين موقعها فى الحياة ؟ هى مهندسة ناجحة ويبدو أن خبرتها التى اكتسبتها من غربتها فى بلاد متحضرة لتتعلم فن البناء قد اكسبتها هذا اللقب ·· الأستاذة ··

ازداد الانخفاض النفسى · وبدأت « وفاء » تشعر بالاحباط وشعرت بآلام فى ظهرها · لاحظت احدى الفتيات أن الأستاذة تجلس على مقعد خشبى · فسألتها أن تجلس مكانها على المقعد الجلدى ·· شكرتها « وفاء » ولم تترك مكانها ·· ربما انتقالها الى مقعد وثير يبين انها قد كبرت وتدهورت صحتها ·· لا ·· لن تنتقل ·· لن تفعل أى شىء · من هذه الأشياء التى تنبهها الى عمرها ·· وكل شىء ينبهها الى حقيقة عمرها ·· يكفى هذا الباب الذى أغلق فى وجهها · جميلة الى حد ما ·· نعم · مركزها مرموق ·· نعم ·· مليئة بالآمال والحيوية · قلبها مستعد للحب · جسدها يشتاق الى لمسة محب ·· ناضجة ·· ومع ذلك أغلق الباب فى وجهها ·· وبدأ الاحباط يزورها · ويخفض من حيويتها يوما بعد يوم ·

فكرت « وفاء » فى المرأة التى زارتها بالأمس ·· هى ضوء أمل ·· وان الباب لا يغلق · لكن هناك ظروفا محيطة بكل فرد ·· وربما تكون ظروفها هى التى أغلقت الباب فى وجهها ·

التفتت « وفاء » الى المتحدثة وشعرت بامتعـاض ·· هـذه المرأة المتزوجة حديثا ·· خطفت الرجل من زوجته · وتذكر اسمه بمناسبة وبدون مناسبة كما تذكره الآن ·· ترك زوجته من أجل هـذه الصغيرة ·· وكانت « وفاء » تعرف زوجته ·· لم تكن صـديقتها تماما ·· ولكنها كرهت وامتعضت من هـذه التى أخذته منها ·· كم من الرجال جذبتهم ثم تركتهم ·· وأخيرا تعلقت بهـذا الرجل الزوج ·· أو ربما هو الذى تعلق بهـا ·· وسألها أن تتزوجه ·· فقالت له بسحر أنوثتها انها لا يمكن أن تتزوج رجلا له زوجة ·

قـال لها : « لمـاذا ياحبيبتى ·· انهـا موضـة العصر ·· الا تشاهدين تمثيليات التليفزيون ؟ كل رجل متزوج ومرت سنوات طويلة على زواجه وكبرت زوجته يتزوج ثانية صغيرة » ··

قالت له الفتاة المتمرسة فى الجذب والصد انها لا يمكن أن تتزوج رجلا له زوجة ·

وهكذا طـلق الرجل زوجته وتزوج الصـغيرة · وكرهتهـا « وفاء » ·

لقد شعرت بمأساة الزوجة الأولى ·· هـذه التى فى مثل عمـرها ·· فى وقت تصـل فيه الى النضـوج وتكون متفتحـة بالحيوية ·· محققة لأهداف فى عملها ·· وتكون مازالت متدفقة بالحياة والعاطفة ·· ثم يأتى من يقول لها : « آسف خرجت الى المعاش العاطفى » ··

هكذا تشعر « وفاء » أنها خرجت على المعـاش العـاطفى ، ومازالت تنبض بالحياة والعاطفة والحب والرغبة · منذ تركهـا الرجل الذى أحبته فى سنوات نضجها وتزوج من فتاة صغيرة !!

الحزن يعتصر القلب · والرغبة تعتصر الجسد ·· والشوق الى نظرة حب متبـادلة ·· والخوف من تغلغل اليأس ·· أشـياء تسبب آلاما مبرحة ··

قالت لها يوما فتاة صغيرة من العاملات اللاتى يحببنهــا :

« المشكلة ياأستاذة انك محترمة جــدا ·· يخــاف أى رجل الاقتراب منك ·· يخاف أن تصديه ·· أو تهزئى منه » ··

ضحكت وفاء يومها ، وسألت الصغيرة :

« هل أرتدى ملابس فاضحة ، وأضع مكياجا صارخا ·· وأضحك بخلاعة مثلا » ؟ ! ·· كادت الفتاة تقول لها : نعم ·· !

تمكن شعور الاحباط من « وفاء » ·· قالت فى نفســها ·· ربما كان يجب أن تذهب لتغسل شعرها وتصــففه قبل حضــورها الاجتماع ، فشعرها ليس نظيفا بحيوية كما تحب أن يكون ··

وابتسمت « وفاء » فى نفسها ·· انه ليس شعرها ·· وليس كلمات الآنسات والسيدات ولا رئيس الاجتماع ولا حتى المرأة التى غاظتها بذكر زوجها بلا مناسبة · انه شىء فى داخلها هى ·· بل شىء خارج عن ارادتها ·· انه الرجل الذى خذلها ·· وهى فى هــذا العمر خذلها ·· ثم تذكرت المرأة الأرملة المطلقة التى زارتها بالأمس ·· انه ليس العمر اذن ·· ولم تعد تنفع الأشياء الجديدة التى تشتريها لتزيل احباطها ·

قامت « وفاء » فجــأة ·· واســتأذنت من رئيســها فى ترك الاجتماع ··

فقال لها : لحظة يا أستاذة وفاء ·· هناك عمل كبير اسندناه اليك لكفاءتك ·· عملية ترميم واصلاح قاعة فى فندق كبير ··

تذكرت « وفاء » حلمها بالفندق الليلة المــاضية ·· وسألت الرجل ·· أى فندق ·· واقتربت منه كأنها تسير تحت تأثير منوم « مغناطيسى » ·· وناولها أوراقا ، وتصريحا لتذهب الى الفندق وتقوم بالمعاينة على أن تبدأ العمل فى أقرب وقت ممكن ··

★ ★ ★

ذهبت « وفاء » مباشرة الى الفندق الكبير لتقابل المسئولين عن الادارة .

« تفضلي يا أستاذة ‥ كل شيء تحت أمرك يا أستاذة ‥ هـذه هي القاعة الكبيرة المطلوب اصلاحها وترميمها » ‥

نظرت ‥ عاينت ‥ كتبت في الورق ‥ ودبت فيها الحيوية وهي تعطي تعليماتها ‥ « تشرفنا بمعرفتك يا أستاذة » ‥

وابتسمت « وفاء » ‥ لـمـاذا لا ينادونها بالمهندسة ؟ ! ‥

وهي في طريقهـا الى خــارج الفنـدق وبجــوار مكـان الاستعلامات ، التقت عيناها بعيني رجل ‥ تذكر ملامح وجهه ‥ لكن ‥ هل هي من كان زميلها في الشركة واستقال وسافر للعمل في بلد عربي واختفى ، واختفت أخباره سبع سنوات ؟ ! ‥

(وفاء) ‥ .

توقفت ‥ . انه ‥ هو ‥

تقدم منها مصافحا ‥ سألها : ماذا تصنعين هنا ؟ !

ـ سأقوم بعملية ترميم واصلاح احدى قاعات الفنـدق ‥ وأنت ماذا تصنع هنا

ـ عـدت من يومين ‥ كان لابد أن أعـود الى بلدى يوما لأعمل بها ‥ سأنشيء مكتبا خاصا ‥ والله كنت سـأتصل بك ضمن الذين أحب أن يعملوا معى ‥ انزل هنا في الفندق الى أن أجد مكانا للسكن ‥ اذا كنت تتذكرين فعائلتي ليست هنا ‥ ولم أكون عائلة خاصة بي للآن ‥ ايه ياوفاء ‥ كبرنا ‥

ابتسمت « وفاء » ‥ لم تتعبها كلمة « كبرنا » ‥ فهو قد كبر أيضا معها ‥ وأعجبها أنه ناداها باسمها هكذا ‥ من زمن لم تسمع أحد يناديها بدون لقب الأستاذة ؟! ‥

سألها ما اذا كانت متعجلة لتناول طعام الغـداء مع زوجها « وكم لديها من أطفال » ؟ !

ابتسمت « وفاء » وهى تقول مستعيرة كلماته التى قالها · انها لم تكون عائلة خاصة بها للآن !! ··

سألها أن تتناول معه طعام الغداء فى الفنـدق ليتحـدثا · ووافقت ·· جلست فى قاعة الطعام تنتظره الى أن يبدل ملابسه · وابتسمت بسعادة انها لن تذهب الى منزلها وتتناول الغـداء مع أختها وزوجها · فهما كلما ذهبا لزيارتها وأمها تسـمع منهمـا عبارات التأنيب ·· انها تنسى نفسها فى العمل ·· وقبل ذلك نسيت نفسها فى تلقى الخبرة من السفر ·· والآن ماذا تنتظر ؟ ! ·· وبعد هـذا الموشح المكرر يعرضان عليها أحد الرجال التعساء فى هـذا العالم · من هؤلاء المصدومين أو المحرومين الذين اقتربوا من سن المعاش الحقيقى أو تجاوزوه · يريدون زوجة فى مثل عمرها ·· كبيرة وفى نفس الوقت تصغرهم كثيرا ·· !!

قالت « وفاء » لنفسها انها تشعر بانتعـاش بسـبب تكييف الهواء فى الفندق ·· ثم ابتسمت ·· لمـاذا تكذب على نفسها ·· فسبب انتعاشها واضـح · انها سـتقوم بعمل كبير أسـندوه لها لمهارتها ، وستتحدث حديثا طويلا مع زميل قديم فى مثل عمرها فرح لرؤيتها ·· ويريدها أن تعمل معه ·· وتذكرت حلم الليلة المـاضية بالفندق الكبير والرجل الذى جاء من بعيد يسأل عنها · وتعجبت من الحلم الذى تذكرته فى الصـباح بسخرية · ها هو يتحقق بصـورة مذهلة ·· واتسعت ابتسـامتها للرجل الذى جلس أمامها مرحبا بها ·· ربما حقيقة ·· يكون ·· هو ··

— ٨ —

انقذنى من أحلامى

ترددت الدكتورة « هدى » قبل أن تذهب الى عيادة زميلها القديم الدكتور « م » طبيب الأمراض النفسية ، لقد جاءتها فكرة زيارته منذ عام لتشرح له حالتها ، ربما يستطيع أن ينصحها بعلاج ، لكنها وهى الطبيبة المتعلمة والمثقفة كانت تخشى زيارة طبيب أمراض نفسية ٠

فزيارة هؤلاء الأطباء فى المجتمع الشرقى تسىء الى سمعة الزائر ، حتى وان كان مرضه النفسى مجرد شىء عارض ، وليس مستعصيا ، يكفى أن يلمحها احد معارفها فى عيادة طبيب نفسانى حتى يطلق عليها صفة « مجنونة » ، وبعدها من الذى يذهب للعلاج عند طبيبة مجنونة ؟ ! ٠٠ ربما لذلك تأخرت زيارتها لزميلها الطبيب النفسانى ، وربما لشىء اخر فى نفسها تتجاهله ويدركه عقلها الباطن ٠ ومع ذلك لم تذهب اليه مباشرة بل حدثته فى مكالمة تليفونية قصيرة ، وطلبت منه تحديد موعد لتزوره فى وقت ما بعد انتهائه من معالجة مرضاه بحجة الا تعطله عن عمله ٠

وذهبت فى الموعد المحدد الى عيادته ٠

بنظرات لامعة بالشوق ، وكلمات لامعة بالترحيب استقبلها الطبيب النفسانى ، وقد ظن فى أول الأمر انها ذهبت اليه لتطلب خدمة لأحد مرضاها ، وسألها فى هـذا المعنى فابتسمت وقالت انها جاءت لشىء يتعبها هى ٠

نظر اليها الطبيب النفسـانى متفحصـا وسـألها ما الذى يتعبها ؟

قالت ـ أحلامى

ابتسم الطبيب وسألها مستفسرا ؟

قالت : أعرف أنكم أحيانا تعالجون المريض بواسطة أحلامه ورموزها ، وهـذا من منهج الطبيب العلامة « فرويد » لكن أحب أن أقول لك قبل سرد أحلامى انها لن تسـاعد على شـفائى لأنها تتحقق فعلا ٠ واذا كان لديك وقت يمكننى أن أفسر لك هـذا ٠

قال الطبيب وقد بدأ عليه الاهتمام :

ـ لك ما تشائين من وقت ٠ المهم أن نصل الى نتيجة واذا أردت ألا تنظرى الى وأنت تتحدثين يمكنك الجـلوس فوق هـذا المقعد الوثير لتشعرى براحة وتتحدثى بحرية ٠

قالت ان هـذا لا يهم وبدأت تحكى ٠

★★★

قصــة الحــلم :

« كان ذلك منذ خمس سنوات تقريبا · كنت فى الحــلم أمثل فيلما · وأشاهده ·· أحيانا أكون الممثلة ، وأحيانا أكون المتفرجة · كانت قصة الفيلم أو الحلم عن كفاح أربعة أشخاص ليصلوا الى هدف ما · لم أدر تماما أى هــدف يريدون الوصول اليه · ربما كانوا يكافحون للوصــول الى بلد ما · رجلان وامرأتان · كنت احدى المرأتين أحيانا والمتفرجة على المرأتين أحيانا · كنا نســير فى حقـــول خضراء ، ثم فى طرق متعرجــة ، وكـانت القصـــة تشـــدنى عنـدما كنت المرأة المتفـرجة على المــرأتين · وعنــدما وصـــلوا الى بـلد كنت المـرأة الثـانية · أقـام أهل البـــلد احتفـــالا لنـا · لم أدر لمـــاذا أقيم ذلك الاحتفـــال لنـــا ، واحتضننى أحد الرجلين وقال هامسا : بعد هــذا المشوار الطويل والتعب الذى لاقيناه معا ، أريد أن أبقى معك دائما · وقتها وأنا فى الحــلم قلت فى نفسى هــذا الكلام لا يقوله الرجال الا فى فيلم نشاهده · لكنى كنت سعيدة بالدور الذى كنت أمثله وتعلقت بذراع الرجل الغريب بحب ربما · برغبة فى تحقيق أمل أن يكون رجلا بجانبى · ربما · قال هامسا · لنخرج من هــذا المكان ، فهناك احتفال خاص بنا نحن الاثنين فقط ، فرحت أن الأمل سيتحقق ، وخرجت معه الى حديقة ، شاهدت مناضد كثيرة فوقها مفارش بيضاء ، وقال الرجل انهم سيقدمون الحــلوى وســيحضر الناس للاحتفال الخاص بنا · التصقت فرحة بذراعه ، لكن جاء بعض الرجال ، وقالوا لا يوجد احتفال هنا ، وانتشلوا المفارش البيضاء ·· حزنت · قال لى الرجل · لا يهم · سنأخذ سيارتى ونذهب · كانت سيارته قديمة مكشوفة وصعدت بجانبه ، وفى طريقنا لمحت اعلانا عن فيلم سينمائى « ذهب مع الريح » ورأيت وجه البطل هو نفس وجــه الرجل الذى كنت أحبــه فى ذلك الوقت وكنت مخطوبة له · فزعت ·سألنى الرجل الذى بجــانبى · لمــاذا فـزعت ؟ قلت له

أن هــذا الفيلم القديم يزعجنى ولا أدرى لمــاذا يعرضونه الآن ؟ !
فقال ضاحكا : لأنهم أفلسوا ، وقاد سيارته ، ولكنها لم تصل بنا الى مكان ٠٠ واستيقظت » ٠

★★★

نظر الدكتور النفسانى الى زميلته القديمة الدكتورة « هدى » باهتمام لا يخلو من الدهشة وقال :

– حلم غريب ٠ كأنه فعلا قصة فيلم

ثم سألها كيف تحقق ذلك الحلم ؟

★★★

الحلم يتحقق بصورة مخيفة :

قالت :

« بعد ذلك الحلم بشهور قليلة فوجئت بزواج الرجل الذى كنت أحبه وكان معروفا لدى أسرتى وفى محيط عملى انه خطيبى ٠ لقد اختار غيرى ، وكان على أن انسحب واتألم فى صمت الى أن تزول الصدمة ٠ لقد ذهب مع الريح ٠ تمــاما كمــا رأيت فى ذلك الحلم ٠ والعجيب اننى قابلت رجلا غريبا ، جاء مريضا الى عيادتى ، كان متعبا أيضا من صدمة عاطفية حــدثت له فمرض ٠ جمعتنــا الصدمة تعددت لقاءاتنا خارج عيادتى ٠ وربما لا تصدقنى اذا قلت لك اننى اكتشفت أن ملامح ذلك الرجل مشابهة لملامح الرجل الغريب الذى رأيته فى ذلك الحلم ٠ التقينا فى عاطفة وفى خلفية كل منا مشوار تعب وألم ، تواعــدنا على الاســتمرار معا وفعلا

عقدنا قراننا فى حفل صغير · لكن زواجنا لم يتم · أليس جديرا بى بعد ذلك أن أتعظ من أحلامى ولا أتورط فى علاقات أو خطوبات أعرف انها لن تتم ·· لكنى لم أتعظ » ·

★★★

استمر صمت الطبيب النفسانى لحظـات ، وقد اسـتهوته حكايات أحلام زميلته القديمة · ثم سألها :

ـ هل تحلمين دائما أحلاما فيلمية ؟

ـ أرى أحلاما كثيرة لكنها ليست دائما واضحة ·

ـ هـذا شىء طبيعى ·· ومـاذا بعد انفصـالك عن ذلك الرجل ؟

ابتسمت الدكتورة هـدى بحزن وقالت :

ـ تعرفت على آخر فى حفـلة عند صـديقة لى · تبادلنـا الاعجاب ، وبعد أول لقاء كان حلمـا آخر واضـحا ، حذرنى من علاقتى به · لكنى لم أتعظ ·

قال الطبيب النفسانى :

ـ اذا كنت تذكرين ذلك الحلم · أريد أن أسمعه ·

★★★

حـلم التحـذير :

قالت الدكتورة بعد فترة صمت قصيرة :

« كانت خطواتى بجانب خطواته · سرنا الى داره ، فى بناء كبير به أبواب كثيرة · مكان مثل فندق فى بلد ساحلى · لكن لم يكن بجانبه بحر ولا شاطىء · كان بجواره حمام سـباحة · كنت فرحة ، هـذه الفرحة التى نادرا ما أعرفها · وفتح بابا من تلك الأبواب المغلقة · خطواتى بجانب خطواته ·· دخلنا بيته ، شعرت بطمأنينة وأنا أطوف بحجرات بيته · احتضـننى وسـألنى ، هل أعجبنى بيته ؟ · ثم خرج ليحضر شيئا · وعاد يحمل صبيا على كتفه ، قال هـذا ابنه · حـاولت أن أداعب الصبى لكنه أشـاح بوجهـه عنى · قال الرجل انه سـيطعم ابنه · وخرجت لأشـاهد المكان وحمام السباحة · كانت مجموعات من الناس يسـبحون ، وشعرت بحنين اليه فعدت لأطرق بابه · لكنى فقدت علامة بابه · الأبواب كثيرة فى المكان · كلها مغلقة ولونها داكن · طرقت أحد الأبواب · لم يكن بابه · خرجت مرة أخرى الى حمام السباحة ، تذكرت أن هنـاك شرفة كبيرة لبيته · قلت لأدخل منهـا ، سرت بمحاذاة سورها · كنت خائفة أن أقع · وجـدت خـادما أسـود اللون · نهرنى لـما سألته عن سيده ، وقال انه ليس بالداخل · أخبرته اننى تركته مع ابنه من لحظات ، فقال أن سـيده ليس له ابن · شـعرت بالخجل وسرت بمحـاذاة سور الشرفة وعدت الى حمام السباحة ، وجدته هناك جالسا وأمامه زجاجة خمر · سألنى أين كنت ؟ · قلت اننى قد ضللت الطريق الى بابه ، ضحك وهو يناولنى كأسا · قلت له لن أشرب من كأسك » ·

★★★

نظر الطبيب النفسانى الى زميلته القديمة الدكتورة هـدى وابتسم لأحلامها المسلية التى تضايقها وسألها كيف تحقق ذلك الحلم ؟ !

ابتسمت بحزن وقالت :

« كان الحلم تحذيرا لى الا أفقده ، فهـذا الرجل وجـدت حياتى معه · أو هكذا خيل الى · لكنى ضحكت من الحـلم فما كان الا مخاوف · ولم يكن الحلم تحذيرا فقط · بل كان رؤيا واضحة تجاهلتها · لقد دعانى الى بيته ، وكنت فى دهشة لأن بيته الذى رأيته فى الحقيقـة هو تقريبا نفس البيت الذى شـاهدته فى ذلك الحلم · ومع ذلك تجاهلت التحـذير · وفى يوم أفصـح لى عن مشاكله الخاصة ، وعدم استعداده للزواج ، وسألنى أن يستمر حبنا دون ارتباط ، فرفضت ، تماما كما رفضت فى الحلم أن أشرب من كأسـه · بعدها كان واضـحا فى تهربه ، لم أتعظ من حـلم التحذير ، وسألته فى مكالمـات تليفونية لمـاذا لا يسأل ، السنا على أى حال أصدقاء · أى اننى حاولت الوصول اليه عن طريق الشرفة كما رأيت فى الحلم · وفى يوم كنت أمر من الطريق الذى يقع فيه بيته · فصعدت أسأل عنه · طرقت بابه ، وفتح لى رجل أسود ، وكاد أن يغمى على ، فهو صـورة من ذلك الخـادم الذى رأيته فى حلم التحذير · تماسكت وسـألته عن سـيده · · قال انه مسافر ، ولا يدرى متى سيعود · سألت الخادم منذ متى وهو يعمل عند سـيده · قال من وقت قريب · شـكرته وسرت · وفهمت من خطـواتى الحزينة التى كانت مثل خطوات مشـيعى الجنازات . **فهمت انه قرر الاختفاء · وانني لا شيء فى حيـاته · وأن رؤيتى فى الحلم قد تحققت تماما » ·**

★★★

قال الطبيب النفسانى لزميلته القديمة الدكتورة هدى ٠

ـ « كثيرون يتمنون احلامك ٠ ونادرا ما تاتى لهم ٠ ورموز احلامك تدل على٠٠ » قاطعته وقالت :

ـ « دكتور ٠٠ لم احضر اليك لتفسر احلامى ٠ او لتعـالجنى عن طريقها ٠ جئت اليك لتنقذنى منها لا اريد ان احلم بعد ذلك ٠ اصبحت اخـاف الليل ٠ اخاف ان انام ٠٠٠ اخاف من احلامى ٠ ولا احب ان اتنـاول اقراصـا منومة حتى لا اتعود عليها ٠ وفقدت اهتمامى بالحياة بسبب الأحلام المزعجة التى اراها وتتحقق تماما » ٠

قال : « لا تخافى احلامك » ٠

نظرت اليه باستياء ، هل بعد هـذا التردد الطويل قبل ان تذهب اليه ، وبعـد معـاناتها وهى تسرد احلامها يقـول لهـا : لا تخافى ؟ ولاحظ الطبيب اسـتياءها فسـالها اذا كانت قد روت احلامها من قبل لأحد ٠ هزت رأسها ٠٠ لا ٠٠

قال :

ـ « اعتبرى سرد احلامك لى نوعا من الشفاء ، وكونك رايت حلما او اثنين تحققـا بصـورة او باخرى كما شـاهدتهما فهـذا لا يعنى ان تفقدى اهتمـامك بالحياة لانك مثلا تعرفين البـلاء قبل حدوثه ٠ فمثل هـذه الأحلام نادرة وانت تتمتعين بشفافية روحيـة فلا تفقديها بخوفك » ٠

صمتت الدكتورة هدى كانها تفكر فى كلامه ثم سالته :

ـ « هل تحلم يادكتور » ؟

★ ★ ★

حلم يقظة للطبيب النفسانى :

اعتدل الطبيب فى جلسته وقال مبتسما :

ـ « كل انسان يحلم اثناء النوم ، وكثيرا لا يتذكر احلامه ، اما انا فافضل احلام اليقظة ٠٠ وقد حلمت بك كثيرا فى احلام يقظتى » ٠

ظهرت الدهشة على ملامح الدكتورة هدى وسألته :

ـ « متى كانت هذه الأحلام » ؟

قال :

ـ « منذ كنا زميلين فى كلية الطب ، وقد حاولت التقرب اليك وقتها ولاحظت تجاهلك لى ٠ تخرجنا وانشغل كل منا بالطريق الذى اختاره ، التقيت بك فى مناسبتين من حفلات الأطباء ٠ فى المناسبة الأولى قدمتنى لرجل وقلت انه خطيبك ٠ واعتقد انه هو الذى رأيت وجهه بدلا من وجه بطل فيلم ذهب مع الريح فى حلمك ٠ وفى المناسبة الثانية قدمتنى لرجل آخر وقلت انه زوجك ، تعجبت وقتها ، لم أفهم ما حدث لك ٠ بعدها فضلت الابتعاد عن أى مناسبة أعرف انك ستكونين موجودة فيها ٠ لأنى كلما رأيتك تعود احلام يقظتى معك » ٠

زادت الدهشة على ملامح الدكتورة هدى ٠ ابتسم الطبيب واستمر فى حديثه :

ـ « تتعجبين ٠ ليكن ٠ انا لم اتزوج للآن لأن نظرتى للزواج مختلفة عن معظم الرجال واحلام يقظتى أن اتزوج من طبيبة ٠ امراة فى مجال عملى ، أستطيع أن أتحدث معها وتفهمنى ٠ ونقوم معا بعمل مشترك ٠ اكتشاف جديد فى العلاج مثلا ٠ وفكرت فيك ٠ أنت

طبيبة بشرية وأنا طبيب نفسانى ، ومن علاقة الجسد بالنفس تحدث أمراض جسدية أساسها نفسى ، هذه التى يتحدثون عنها فى الأبحاث الحديثة • كانت أحلامى ومازالت أن نقوم بعمل أبحاث معا ونصل الى هدف ما • معا » •

نظرت الدكتورة « هدى » الطبيبة البشرية الى الدكتور « م » الطبيب النفسانى بشىء من البهجة والاندهاش وسألته :

ـ « ولماذا •• أنا » ؟ !

قال :

ـ « منذ كنا زميلين فى كلية الطب وأنا معجب بك شكلا وموضوعا • هل تدرين لماذا فشلت فى تحقيق أملك فى الاستقرار مع رجل » ؟

هزت رأسها •• انها لا تعرف ••

قال :

ـ لأن روحك شفافة وأهدافك واضحة ، باختصار صادقة فى عواطفك وهذا للأسف لا يفهمه معظم الرجال » •

حاولت الدكتورة هدى أن تبتلع دموعها • ولم تتمكن • فسالت صامته من عينيها ولم تدر سببا لدموعها ، هل لتذكرها الحوادث المؤلمة التى مرت بها • أم لتأثرها من كلمات زميلها واعجابه الصامت بها ، واحترامه لمشاعرها فلم يقحم نفسه على حياتها • هل لأنها من زمن تكبت دموعها ؟ ! وتركها الطبيب النفسانى تبكى الى أن هدأت •

ثم قال :

ـ « حاولى أن تحلمى حلم يقظة · تطوعين أحداثه كما ترغبين أنت · ولتكن أحداثا مبهجة » ·

ابتسمت أخيرا وهى تجفف بقايا دموعها ·

وقالت : « وهل أحلام اليقظة تتحقق كما نرسمها بخيالنا · جميلة · مبهجة ؟! » ·

قال : « ها أنت أمامى · لست مرتبطة بأحد · وأنا أسألك أن تفكرى فى تحقيق حلم يقظتى معى · ونكمل مشوار حياتنا معنا » ·

قالت مبتسمة وهى تقوم لتنصرف :

ـ « أعـدك أن أفكر ·· وغدا سـأحدثك عن أحلامى هـذه الليلة » ·

قال : « أنا مدين لأحلامك بالشكر ، فلولاها ما كنت حضرت الى عيادتى ، وربما كنت أظل سنين أخرى لا أعرف عنك شيئا ·· سأنتظر مكالمتك غـــدا » ·

★★★

خرجت الدكتورة « هدى » من عيادة زميلها القديم الدكتور « م » وهى تتعجب من النفس البشرية وما يعتريهـا من تغيرات مفاجئة من اليأس الى الأمل · لقد كانت من زمن · منذ كانت طالبة فى كلية الطب وهى تعتقد أن ارتباطهـا بالزواج من طبيب يعنى القضاء على مستقبلها العملى ، هـذا العمل الذى تحبه لتخدم به الناس · ولا تدرى لمـاذا كان هـذا الاعتقاد الخاطىء · ربما من حوادث سمعتها عن طبيبات تزوجن من زملائهن الأطباء وتركن

الخدمة الطبية النبيلة ارضاء لأزواجهن ٠ ومن ناحية أخرى وجدت معظم الأطباء يفضلن الزواج من نساء لا يعملن فى المجال الطبى أو لا يعملن على الاطلاق ٠٠٠ لتلك الأسباب قررت من زمن ألا تفكر فى أحد زملائها ٠ فلم تلتفت لاعجاب زميلها الدكتور « م » وأخمدت اعجابها به ، وربما ذلك الاعجـاب القـديم ظل كامنـا فى عقلها الباطن ، فهى ولدهشتها اكتشفت انها أيضا كانت تتمنى أن تتزوج من طبيب زميلها ليتعاونا معا فى المجال الطبى وليكملا مشوار حياتهما معا ، وأخمدت أمنيتها بسبب فكرة خاطئة فى صحتها ٠

ابتسمت ٠٠ وبدأت ترسم حلم يقظة بخيالها ٠٠ جميلا ٠٠ مبهجا ٠٠

— ٩ —

المرأة التى جاءت فى منتصف الليل ..

كان الليل يقترب على انتصافه · ومازالت حرارة الجو بدرجة عالية من الرطوبة تكتم الأنفاس · وتجعل شيئا ثقيلا مثل الهم على رأس الضابط الكبير · مأمور القسم · كان يجلس فى حجرته التى هدأت أخيرا بعد انصراف مجموعة من أصحاب الشكاوى · نظر الى « المروحة » الكهربائية · هى الصوت الوحيد الذى أصبح فى الحجرة · ولم يطغ على صوت أفكاره · ورطوبة الجو تزيد من ثقل المشكلة التى فى رأسه ، انه ولأول مرة فى حياته يشعر بالهزيمة ·

صوت « المروحة » الكهربائية يطن فى أذنيه مثل طنين صوت زوجته الصغيرة التى أصرت على الطلاق · هو الذى أخذ أوسمة ونال ترقيات لمهارته ونجاحه فى عمله · هو الذى كان يوما معبودا للنساء · تأتى زوجته وتطلب منه الطلاق باصرار ؟! ويوافقها أخيرا بعد عشر سنوات زواج وابن فى عمر الورد · حقيقة هو ارتاح لهذا القرار لكنه لم يعلن الخبر لأصدقائه فمعظمهم يؤمنون بفكرة زواج واحدة ولآخر العمر · واذا كانوا غير موفقين فهم يصنعون حياتهم الخاصة بعيدا عن البيت ،

لكنهم يحتفظون بمظهر الأمور · وكانت هـذه الفكرة لا تلائمه · وقد حاول اصلاح الأمور مع زوجته بلا فائدة · ونصحه بعض أصدقائه بحياة خاصة بلا فائدة · فكيف يعترف لهم بهذه الهزيمة التى لحقت به ؟ !

حقيقة هو تزوج فى سن متأخرة قليلا ، فى الخامسة والثلاثين ، كان منهمكا فى عمله وانتصاراته وتنقلاته من بلد لأخرى · وكان يحب الصخب والنساء وكن مولعات به · ربما لأنه كان دائما الرجل الأعزب فى المجموعة · ربما لأنه يتمتع بجاذبية خاصة · وكان مولعا بهن · وكان معبودهن · وربما تأخر فى الزواج بسبب قصة حب عظيمة انتهت نهاية مؤلمة · ماتت الحبيبة وغرق وقتها فى الحزن ثم انغمس أكثر فى الصخب · وكانت أمه لا تجد له الخلاص الا بالزواج ·

وتحت الحاحها المستمر · وافق · وقدمت له العروسة الحلوة بنت العشرين عاما التى بشبابها وجمالها قطعا ستسعده · تردد لفارق السن بينهما ، لكن عندما رأى الفتاة البضة الجميلة وضحكتها ، وثراء أسرتها وافق · وقد سر أمه اختيارها ·

وكان حفل الزفاف الكبير الذى تحدث عنه أهل الحى ، ثم كانت عشرة أعوام ثقيلة بالهم · مثل هـذا الثقل الذى يشعر به على رأسه من رطوبة الجو ·

★ ★ ★

فكر الضابط الكبير أن يخرج · يقوم بجولة فى سيارته لعله ينتعش قليلا · وان كانت لا توجد أى نسمة مبشرة بالانتعاش وعندما حزم أمره على الخروج · دخلت الحجرة امرأة ممشوقة القوام · وجهها هادىء جميل ، لكن فى عينيها نظرة حزن ممزوجة بخوف واضطراب · نظر اليها لحظة متأملا · وقالت قبل أن يسألها عن طلبها ·

ـ أريد حماية من الرجل الذى كان زوجى ٠

سألها أن تجلس لترتاح وتهدأ وتحدثه فى الأمر ٠

قالت : منذ شهر والرجل يطاردنى ٠ أولا طلب منى العـودة اليه ٠ ولمـا رفضت أصبح يهددنى بأشكال غريبة من التهديدات ٠ يطلبنى فى التليفون فى بيتى وفى عملى ٠ يطرق باب شقتى عند منتصف الليل ٠ أهلى نصحوه أن يبتعد عنى ، ولا فائدة ٠ هـذا المساء عدت متأخرة وجدته جالسا أمام باب شقتى ٠ نائم تقريبا ٠ تفوح منه رائحة الخمر ولمحت فى جيبه مسدسا ، نزلت بهـدوء وحتى لا يشعر بى ٠ وجئت اليك لتحمينى منه ٠

سألها الضابط ـ منذ متى طلقت ؟

ـ منذ عام

ـ ولمـاذا لم يهددك الا من شهر ؟

قالت ـ لقد طلبت الطلاق بعد أن تزوج من فتاة صغيرة ٠ ولم يعارض وارتحت ٠٠٠ لكنه لم يوفق فى زيجتـه فعاد الى بكل هـذه التهديدات ٠

سألها الضابط ـ لمـاذا لا تسامحينه على هفوته وتعودين اليه ؟!

ـ لقد تحملت منه الكثير ٠ خمس سنوات فى هم ٠

ـ يوجد أطفال ؟

هزت رأسها ٠٠٠ لا ٠٠

سالها ـ كم عمره ؟

ـ انا فى الاربعين وهو يقترب من الخمسين

نظر اليها بدهشة

قالت مبتسمة ـ كنت مشغولة بعملى · تزوجت كبيرة الى حد ما ·· وهو كان مطلقا ··

ـ غريبة ؟!

سالته ـ ما هى الغرابة ؟

قال ـ اولا أن يترك رجل فى مثل عمـره امراة ناضـجة مثلك · وثانيا انك تتحدثين بصراحة انه هو الذى تركك والمرأة عادة لا تعترف انها متروكة او تقول صراحة عن عمرها ·

ابتسمت المرأة · قالت ـ أحب الصراحة ·

سالها ـ هل كان له أولاد من قبل ؟

هزت راسها ·· لا ·· وهز الرجل رأسه كانه اكتشف شيئا لم يرد أن يصرح به ثم سالها ·

ـ كيف تزوجته ·· ولمـاذا تزوجته ؟!

قالت : ياحضرة المـأمور جئت اليك لتحمينى منه · لا أن تسالنى لمـاذا أو كيف تزوجته ؟

قال ـ آسف ·· ماذا تعملين ؟!

ـ عالمـة ·

بانت الدهشة على وجه الرجل فابتسمت وقالت :

ـ عالمة فى ابحاث الذرة « بتشديد الراء » ٠

ـ عمل غريب للمراة ٠

ـ معظم الرجـال يقولون هـذا ٠ لكنى احب عملى واقوم بابحاث فى استخدام الذرة للأغراض السـلمية ٠ لخـدمة الانسانية ٠

قال الرجل بشىء من الدهشة والاعجاب :

ـ شىء جميل ٠٠ شىء عظيم ٠٠ هل تريدين عمل محضر ٠٠

ـ لا اريد شيئا من هـذا القبيل ٠ فقط اريدك أن تأتى معى او ترسل احد اعوانك لياخذوه ٠ وتجعـلوه يكتب تعهدا بعدم التعرض لى ٠ وعقابه اذا فعل ٠

قـام الرجل وهو يقول انه سـيتولى بنفسـه الأمر ٠ وقـد استهوته المراة وقصتها وشعر بهـذا الشـعور القديم من الحيوية الذى كان يعتريه وهو مقبل على مغامرة ما ٠

جلست بجانبه فى السيارة وعلم منها أن الشقة التى تسكنها ملكها ٠ هى التى اشترتها واثثتها بما ورثته عن والديها ٠ وانها قد غيرت قفل الباب بعد طلاقها ٠ وانها تسكن وحـدها فاخواتها

واخوها كل له بيت وأسرة ٠

تقدم الضابط الكبير ببدلته الرسمية وشجاعته الذكية وصعد أمام المراة الى شقتها ٠ ولدهشتهما لم يجدا أحدا٠٠صعدا الى نهاية أدوار العمارة ٠ لم يجدا أحدا ٠ خجلت المراة وقالت متلعثمة انه كان موجودا بالصورة التى شرحتها لك ٠ وشك الضابط قليلا وهو

يقول أن الخوف أحيانا يصور لنا أشباحا غير موجودة · وكادت المرأة تبكى وهى تقول أنها رأته · سألها عن « بواب العمارة » فقالت انه نادرا ما يكون موجودا وتعتقد ان له أعمالا أخرى · وقرر الضابط أن يعاقبه على اهماله · ثم طرأت فى رأسه فكرة ، وقال لها انه فى مساء الغد سيحضر ويبقى معها الى منتصف الليل · ربما يحضر طليقها أو يتحدث · لاحظ ترددها قليلا فقال انه سيحضر معه أحد مساعديه · ووافقت ·

قاد الضابط سيارته وهو يشعر ببعض الانتعاش ويمنى نفسه بالعودة الى مغامراته العاطفية هذه التى امتنع عنها تماما خلال سنوات زواجه العشر · ولم يرد العودة اليها بعد طلاقه منذ شهر · ربما بسبب شعور الهزيمة ، وانه لم يفصح عن الخبر بعد ·

وقد لاحظت أمه التى عاد يسكن معها أن ابنها حياها وهو مبتسم بمرح · لم تره على هذه الصورة منذ فترة طويلة · وفرحت به ·

فى مساء اليوم التالى ارتدى الضابط الكبير بدلته الرسمية مع أنه لم يكن لديه عمل رسمى · وردية ليلية فى القسم لكنه فكر أن هذه المغامرة العاطفية لابد أن تأخذ صفة رسمية · فهو يعرف من تجاربه ومغامراته السابقة أن لكل امرأة طريقة خاصة فى التقرب اليها · ولزيادة الاطمئنان صحب أحد معاونيه وذهب الى شقة المرأة العاملة فى الذرة · واستقبلتهما برداء بسيط محتشم · وقدمت لهما القهوة ودارت بينهم أحاديث فى موضوعات عامة · وتعجب الضابط من ثقافة المرأة · فهى ليست من النوع الذى ينهمك فى موضوع علمه فقط · ولاحظ انها لا تتصف بالصرامة · ثم جاءت فى رأسه فكرة ·

سألها اذا كان لديها صورة لطليقها · تعجبت ثم جاءته بواحدة · أعطاها لمساعده وقال له وهو يعطيه مفتاح السيارة · أن يبقى أمام المنزل الى أن يرى هـذا الرجل ويتبعه دون أن يشعر حتى اذا ما طرق الباب وكان مسلحا يكون واحدا أمامه والآخر خلفه فيسهل القبض عليه · وأعجبت المرأة بذكاء الرجل ·

عندما صارا وحـدهما · لفهما الصمت ·· نظر الرجل الى المرأة يتأملها وتعجب أن شهوة المغامرة التى اعترته منذ الأمس قد تغيرت · ربما تغيرت بالأحاديث المختلفة التى تبادلاها · ربمـا لرؤيتـه هـذا الـذوق الـرفيع الراقى فى تأثيثهـا لبيتهـا وفى تصرفاتها · امرأة تصـغره بخمس سـنوات فقط · لها مكانة فى المجتمع · مثقفه الى أعلى درجة من الثقافة · شفافة · حساسة · جميلة ومصدومة · وكأنه فجأة وبالمصادفة وجد المرأة التى تمناها طول عمـره ولم يدر · أو انه كبر وتعـلم من تجـاربه أن شـهوة الجسد ليست كل شىء · وأنه كان يتمنى عقلا يتحدث معه ، هـذا الذى لم يجده فى زوجته الصغيرة · أو أن الرجال العقلاء عندما يقتربون من عمر الخمسـين يبحثون عن امرأة تشـاركهم الفكر والحديث المستنير قبل أن تشاركهم الفراش !

* * *

بدد الصمت رنين التليفون وجرت المرأة اليه · لم يرد أحد وضعت السماعة وهى تقول للضابط : « أعتقد انه هو ·· يتأكد من وجودى ليأتى » ·

ابتسم الرجل وهو يقول : « هـذا ما ننتظره » ·

ثم سألها ـ هل تؤمنين بتناسخ الأرواح · أشعر كأن روحينا كانتا فى زوجين سعبدين من زمن بعيد والتقيا الآن · فيك · وفى ·

نظرت اليه المرأة متعجبة · وقالت :

ـ لا اومن بتناسخ الأرواح

قال الرجل ـ توجد اشياء ليس لها تعليل ٠٠ منذ ان رايتك بالأمس وتحدثت معك اليوم وجدت فيك اشياء كثيرة منى ٠ ربما لذلك اشعر بانجذاب اليك ٠٠

نظرت المراة الى يده اليسرى وقالت مبتسمة :

ـ بالأمس كان فى اصبعك خاتم زواج ٠

ابتسم الرجل وأعجب بقوة ملاحظتها وحكى لها باختصار عن قصة زواجه وفشله ولأول مرة لم يخجل وهو يعترف أن زوجته هى التى تركته ٠ ولأول مرة لم يشعر بالهزيمة بل قال انه استراح بقرارها فلم يكن بينهما حديث مشترك ٠ وكانت تعذبه بتفاهتها ومطالبها وهى معذورة لفارق السن بينهما ٠٠ وأخيرا قال :

ـ صدقينى ٠ انا عندما رايتك بالأمس شعرت أن خاتم الزواج يخنقنى ٠٠ هذا الخاتم الذى لم أخلعه بفكرة تافهة وهى انى لست مهزوما فى شىء ٠٠

تأسفت المراة لقصته وواسته ٠ وبدأ شعور باضطراب يعتريها ٠ وهى تنظر فى ساعتها ٠ والليل يقترب من انتصافه ٠ والرجل الذى كان زوجها لم يأت بعد ٠ تمنت أن يحضر ويهددها ٠ خافت أن يخذلها ٠٠ ثم فكرت لحظة لماذا تخاف أن تظهر بصورة سيئة أو كاذبة أمام الرجل ! وقد لاحظ توترها ولمح ساعته أيضا ٠ ثم قال :

ـ عقلك جميل ٠٠ لأول مرة فى حياتى أقع فى حب عقل امراة ٠٠

وابتسمت لم تقل شـيئا · فقد كان رنين جرس الباب أسرع منها فى الرد · ولأول مرة منذ شهر تهرع الى الباب فرحة وليست خائفة نظرت خلال « العين السحرية » بالباب وتنهدت بارتياح وهى تقول ·· « انه ·· هو ·· » ·

فتح الضابط الباب · وكان مساعده يقف على بعد خطوات من الرجل لم يقاومهما · واختفى الرجال الثلاثة · وبقيت المرأة فى شقتها بجانب التليفون تنتظر صوت الضابط · فقد أعطته الرقم ليطمئنها · وتعجبت من نفسها انها تريد أن تسمع صـوته · وسـمعته ·

قال ضاحكا أن طليقها رجل طيب ومسكين · والمسدس الذى يحمـله لعبة أطفـال ليخيفهـا وانه قـد تعهـد كتـابه ألا يتعرض لها وعلى أية حال هـذا رقم تليفون بيته عند أمه لتطلبه أى وقت مساء اذا ماضايقها أحد · وعلى أى حال سـيحضر لزيارتها فى مساء الغد لزيادة الاطمئنان ولأول مرة منذ شهر تنام المرأة نوما هادئا وهى منتعشة لا تدرى هل لخلاصها من مضايقات طليقها · أم لصوت الرجل المبتسم · ؟ !

★ ★ ★

لم يذهب الضابط لزيارتها فى مساء اليوم التالى كما وعدها · طلبها واعتذر لانشغاله فى مهمة ·· حدثها بعد منتصف الليل الى مطلع الفجر · وكل منهما احتضن آلة تليفونه ونام بضع سـاعات قبل الذهاب للعمل · وكل منهما تعجب للنشاط الذى اعتراه فى الصـباح بالرغم من قلة سـاعات النـوم · وتكررت المحـادثات التليفونية المسائية · وزادت الحيوية واختفت المضايقات التى كانت تلح · لم يعد طليق المرأة يهددها أو يحدثها ولم يعد الرجل تضايقه فكرة انه مهزوم بطلاقه من زوجته الصغيرة · وقد بدأ يعلن الخبر لأصدقائه وزملائه بدون شعور بالنقص ·

لكن المرأة بدأت تقلق لماذا لم يعد يزورها الضابط منذ ذلك المساء ؟ ! ولم تدر ماذا كان يدور فى رأسه وربما شعر الرجل بقلقها فقال لها ان العمل يقتضى منه السهر هذه الأيام فى القسم · وسألها اذا كان يمكنها أن تذهب لزيارته فى عمله ·ورحبت بالفكرة · وزاد اعجابها به وهو فى عمله انه لم يرد أن يثير حولها الشبهات بزيارته فى بيتها ودعاها يوما فى مكان ساهر بعد أن انتهى من انشغاله بالعمل وكانت أول مرة تراه فى بدلة عادية مدنية ·

قال وهو ينظر فى عينيها — انظرى الى أشعر براحة عجيبة · راحة ·· مريحة · كأنك تحتضنيننى بعينيك ·

قالت : شعور غريب ينتابنى كلما رأيتك أو حدثتك كأنى وصلت الى اكتشاف مثير فى أبحاثى · وجدته بعد عذاب طويل ·

قال — لا أريد أن أتركك أبدا

★ ★ ★

وقد قوبل خبر زواج ضابط البوليس بعالمة أبحاث الذرة بشىء من الاعجاب والدهشة فى الأوساط العلمية وأقسام البوليس ·

— ١٠ —

وانتهى الحداد

بعد ستة اشهر من رحيل زوج صديقتى فى حادثة سألتنى أن اذهب معها الى بيتها فى المدينة الساحلية لتجمع أوراقه الهامة وتحزم متاعهما هناك لأنها لا تستطيع أن تذهب وحدها لخوفها من الانهيار ، ولأنها قررت أن تبيع البيت الصغير الذى جمعهما فى أجمل أيامها على الشاطىء • استسخفت فكرة بيع البيت وسألتها لماذا لا تحتفظ بمكان كان يحبه ؟! ظهر على ملامحها شىء من الاستياء • ولم تجبنى • فصمت احتراما لمشاعرها •

كان زوج صديقتى بحكم أعماله التجارية يذهب كل شهر الى هذه المدينة الساحلية ويمكث أسبوعا أو اثنين وأحيانا يوما أو يومين • وكان دائما يعود اليها من رحلاته القصيرة مرحا • وكانت هى تعلل مرحه وسعادته لنجاحه فى صفقة تجارية • وبالرغم من مشاغلى وتباعد زياراتى لها كنت أشعر أن هناك مشكلة ما بينهما • حاولت أن أعرفها يوما • لكنها صمتت وحدث أيضا أنهما انفصلا بدون طلاق لمدة خمس سنوات • كان يزورها ليرى وحيدهما ويذهب • وتعذبت صديقتى بحياتها المعلقة • لا انفصال حقيقى ولا زواج حقيقى ونصحناها أن تعمل • وفعلا عملت

سكرتيرة فى شركة كبيرة ساعدها فى ذلك اتقانها لعدة لغات كانت قد تعلمتها فى معاهد خاصة بعد زواجها وكما لم نعلم لماذا هجرها زوجها لم نعلم أيضا لماذا عاد اليها بعد خمس سنوات ·

كان الوقت خريفا وتضايقت من فكرة الذهاب الى مدينة ساحلية · لكنى وافقت من أجل الوقوف بجانب صديقتى فى هذا الموقف الصعب ولم أرد أن أخذلها وقد لجأت لى أنا بالذات ·

كانت تقود سيارتها وتتحدث عن هذا الذى تركها · وكلما حاولت التحدث فى موضوع آخر كانت تسحبنى الى الحديث عن هذا الذى تركها حتى انى قلت لها ضاحكة :

ـ « أنت تتحدثين عنه بشوق كأنه مسافر بعيد أو هجرك لامرأة أخرى ، تتحدثين عنه كأنك تريدين استرجاعه » ·

ظهرت علامات الحزن والضيق على ملامحها فربت عليها مواسية معتذرة · حاولت أن أقول لها أن الرجل ليس فى هذا العالم لم أستطع ·

سألتنى « هل أضايقك بالحديث عنه ؟ » ·

ـ أبدا ·

قالت : « كان كل حياتى · خمسة وعشرون عاما معه · الحقيقة عشرون عاما اذا طرحنا الخمس سنوات التى تركنى فيها · والحقيقة انه كان موجودا خلال سنوات الانفصال أيضا · لم أعرف غيره · لم أحب غيره · فتحت عينى على الحياة وقدموه لى زوجا · هل تذكرين · كنت أول واحدة تزوجت فى شلة صديقاتنا · فى الخامسة عشرة كنت صغيرة حقا · لم أعرف أحدا قبله ولن أعرف أحدا بعده » ·

قلت : مازلت شابة ·

ـ « تجاملينني · فى الأربعين ومازلت شابة ؟!

قلت بحماس ـ وفى عز شبابك ونضوجك

قالت كأنها لم تسمعنى ·

ـ « كان كل حياتى بالرغم من ···

أردت أن التقط هـذا الخيط الذى أشعر به ولم تحدثنى عنه سألتها :« بالرغم من ماذا » ؟

« لا شىء ·· لاشىء » ·

هدأت صديقتى من سرعة سيارتها الى أن توقفت فى مكان قريب من المدينة الساحلية · قالت :

ـ « هنا حدثت له الحادثة · لا تتصورى مقدار حزنى عليه · رجل فى كامل صـحته وعنفوان رجولته ونضجه وذهب هكذا ·· فى لحظة ·· يومها عندما سمعت رنين التليفون المتواصل · قمت متذمرة لأقول له لابد أن يحضر الليلة ·· كنت لا أريد أن اسـمع اعتذاره فى عدم الحضور كنت مشتاقة اليه فى تلك الليلة ·· ولم أكن أعلم انه ·· لن ·· » ·

قلت ـ هجم غروب الخريف علينا · لابد أن نذهب ·

أدارت مفتاح سيارتها · وسـارت على سرعة أكثر · لفنا الصمت الى أن وصلنا ·

. عندما دخلنا البيت الصغير شعرت باختناق من رائحة الرطوبة وارتعد جسدى بضيق كأن شبح الرجل ينتظرنا · فتحت كل النوافذ وأضاءت كل الأنوار وتعمدت أن أفتح حجرة مكتبه مباشرة · وأنا أقول لها :

« لنبدأ عملنا مباشرة ، فأوراق أعماله التى تريدين تصفيتها هى المهمة » · تبعتنى مستسلمة · وبدأت تجمع الكتب المبعثرة ، وبدأت أيضا تتحدث عنه ·

ـ « كان مولعا بقراءة الروايات البوليسية والمجلات الرياضية والأغانى ·· لنسمع الى أغنية من أغانيه المفضلة » ·

وضعت شريطا مسجلا فى الجهاز · أدارته وهى تغنى مع كلمات الأغنية وأخذت بقية الشرائط المسجلة لترتبها فى حقيبة · أوقفت الجهاز وهى تقول : « لنسمع هذا التسجيل · لم يكتب عليه ما به » ··

أدارت الشريط وهى مازالت تتحدث :

ـ « كان عادل يحب كل لحن جديد ويسجله ، وكل أغنية جديدة ··

مسكين عادل لم يتسع له الوقت ليكتب شيئا على هذا التسجيل ·· أثناء حديثها كانت موسيقى ثم توقفت وظهر صوت رجل فانتبهت وقالت فرحة : « صوت عادل » ·· صمتت لتسمع · وأشارت لى لأقترب وأشاركها فى الاستماع ·

كان صوته يتحدث الى امرأة · المرأة تسأله عن زوجته · ويرد عليها ردودا فاضحة · أنت تعرفين ياحبيبتى اننى لست متوافقا مع زوجتى فى أهم الأشياء · فلماذا الغيرة · هى مثل

الوسادة الباردة » ٠ وظهرت ضحكة نسائية منغمة ٠ وصوت المرأة « ماذا أكون بالنسبة لك ٠٠ وسادة ساخنة ؟ » وصوت الرجل ٠ « أنت الحياة كلها » ٠ ثم موسيقى ٠ ثم أصوات يصعب وصفها فى كلمات ٠ وكلمات هامسة ٠٠

وضعت يدى على الجهاز لأصمته ٠ وفى صمت مفجع أزاحت صديقتى يدى ٠ الى أن انتهى الشريط ٠

قلت : ربما ليس هو ٠ ربما مكيدة من أحد ٠٠

قالت : هل أنا لا أعرف صوت رجل سمعته لمدة خمسة وعشرين عاما ٠

قلت : كأنى أحدث نفسى « كل زوج له هفوة ٠٠ لكن لماذا هذا الرجل يسجل هفوته » ؟!

قالت صديقتى بأسى : « لم أعرفه هكذا فى الفراش ٠ لم أسمع منه كلمة من هذه الكلمات التى سمعناها ٠٠ كان لا يقترب منى الا نادرا ٠٠ وقال لى يوما اننى امرأة باردة ٠ سألته بدموعى أن يعلمنى ٠ وماذا أفعل لأسعده ٠٠ خمسة وعشرون عاما ٠ عشرون عاما اذا طرحنا خمسة أعوام انفصال ٠٠ كل هذه السنين وهو يحرمنى من لحظة مثل هذه التى سمعناها » ٠٠

لم أدر ماذا أقول لها ٠٠

قالت : « كان يمكن أن يعلمنى ٠ لقد أخذنى صغيرة لا أفهم شيئا فى أمور الحياة ٠ وبتربيتى كنت جادة ٠ حياتنا كانت رسميات ٠٠ حتى فى الفراش ٠٠ كان يمكنه أن يعلمنى » ٠٠

قامت وأنا أتبعها بنظراتى ٠ منتظرة أن تنفجر باكية ٠ لكنها ابتسمت بمرارة وهى تجلس خلف مكتبه ٠

قالت : « خمسة وعشرون عاما · عشرون عاما اذا طرحنا خمســة أعــوام انفصــال وأنا وســادة باردة ·· لم تكن عــادلا ياعادل » ·

كنت أجمع الأشياء المتناثرة والاحظها بجانب عينى وهى تخرج الأوراق من أدراج مكتبه · وجدتها تنظر الى شىء وتشهق · فى شبه صرخة ، اقتربت منها ونظرت حيث تنظر الى صور عارية ملونة للزوج وامرأة فى أوضاع مختلفة ·· نظرت الى والدموع فى عينيها وسألتنى : « هل هــذه الصور مكيدة أيضا » ؟!

قلت كأنى أحدث نفسى : كل زوج له هفوة ·· لكن لمــاذا هــذا الرجل يصور هفوته ؟ !

أخذت صديقتى شريط التسجيل والصور ، وضعتهما فى حقيبة يدها · قلت : « الأفضل أن تحرقيهم » ··

نظرت الى وقد تجمدت دموعها وقالت مثل نمرة متحفزة :

– « لا ·· سأحتفظ بهم · لأسمع وأرى · كلما شعرت بالحزن عليه ·· !

ثم ابتسمت ســاخرة ·

وقالت : « سأحتفظ بهم · لاتعلم منــه ما لم يعلمه لى فى حياته » ·

قلت فى محاولة للتسرية عنها:

– «هل ســمعت عن قريبتى التى مات زوجها ·· فى اليوم التالى وجدت زوجة ثانية تنعيه فى جريدة ؟ ! ·· أنت محظوظة لأنه لم يتزوج أخرى ·· ولم ينجب منها فتواجهك مشاكل لا آخر لهــا ·

سألتنى باهتمام : « ماذا فعلت قريبتك » ؟

قلت بلا اهتمام : « خلعت السواد وأنهت الحداد مباشرة ».

كانت مهمة شاقة خلال الليل بعد أن انتهينا من جمع الأوراق سمعت صوت نحيبها فى الظلام .. وتركتها تبكى لتغسل أحزانها . وفى صباح اليوم التالى كانت ملامحها هادئة . أقرب الى الصفاء . قالت انها لن تبيع البيت . وفرحت لقرارها . أولا لأنها يمكنها أن تستفيد منه أو تتمتع به . وثانيا لأن مهمتنا انتهت بجمع الأوراق الهامة .

وفى طريق عودتنا . عادت للتحدث عنه . لكن بطريقة مختلفة . لأول مرة تذكر انه قد مات . كانت تحدثنى وكأنها تحدث نفسها . ولم أرد أن أقاطعها أو أغير موضوع حديثها حتى تفرغ منه تماما ..

قالت : « الحمد لله اننى عرفت مغامراته النسائية بعد موته » .

« لكنى كنت أشعر بها .. رجل لا يقترب من زوجته الا نادرا لابد أن تكون له امرأة أخرى ينسجم معها .. لكنه لو كان علمنى .. وعاملنى مثل هذه المرأة وعلمت بمغامراته النسائية ربما كنت .. أغفر له .. وربما كان حدث لى جنون لو كان عاملنى هكذا وأعرف أن هناك أخرى يعاملها بالمثل .. لا يصح أن يحتفظ الرجل بمثل هذه الأشياء التى تكتشف بعد موته فتلطخ صورته وذكراه » ..

قلت : « الأفضل أن تحرقيها » .

قالت : « سافعل ·· لكن ليس الآن ·· ساستمتع بصـوته مرات ومرات ·· وسأرى صوره الفـاضحة آلاف المرات الى أن يموت حبى وحزنى وأدفنهما معه ».

ثم التفتت الى وسألتنى : « هل حقيقة كما قلت اننى شابة فى عز شبابى ونضحى » ··

ـ لم اكذب ··

— ١١ —

بعد الحريق

سيارات قليلة كانت تسير فى الشارع العريق المجدد · هـذا الشارع الذى يشـهد على آلاف الأحـداث ، وآلاف السـنين ·· وكانت تهدىء من سـيرها أو تتوقف قليلا أمـام النوادى الليلية ليشاهد راكبوها آثار الحريق · كانت ضـمن السـيارات التى توقفت أمام احدى الملاهى المحترقة سيارة كبيرة قديمة ، يقودها رجل أسمر نحيل فى عمر الستينات · نظر الى المكان وتذكر تلك الليالى التى أمضاها فيه · تذكر انبهاره بالنساء شبه العاريات عندما ذهب أول مرة وفرحته بالتفافهن حوله · تذكر عشقه للمكان حتى أصبح من زبائنه المرموقين · وفى فترة مزدهرة من عمره كانوا ينتظرونه فى الملهى كمـا لو كان نجما يؤدى دورا هاما فى البرنامج · واذا غاب ليلة كانوا يسألون عنه وينشـغلون عليه · لمعت عيناه ·· ليسـت بدموع تمـاما · ربما ذكرى تلك الليالى جعلت عيناه تلمعان بتذكر نشوتها ، أكثر من حزنه على ما صار اليه المكان ·

تقدم منه شرطي · سأله عما يريد · هز رأسه · لا شيء · وقاد سيارته لولا الأضواء الساطعة الجديدة في الشارع لظن الرجل أنه في أعقاب الحرب العالمية الثانية · هذه التي يتذكرها جيدا كما يتذكر تلك الليالي المليئة بالنشوة · في تلك الحرب الكبيرة علمه أبوه كيف يجمع ثروة ، ولقنه درسا ليعيش به : أن المال يأتي بالمال · وهكذا نجح في عمله ·

انحرف بسيارته في أحد الطرقات المتفرعة من الشارع الكبير · توقف عند بداية الطريق ليتأكد من ذاكرته ، وقاد سيارته العتيقة وهي ترتفع وتنخفض في الطريق غير المعبد ، الى أن وصل الى مجموعة منازل متلاصقة ، ليست قديمة تماما ، ولا جديدة تماما ، من هذه المنازل الرخيصة البناء · توقف عند أحدها · وابتسم لنفسه وهو يصعد · انه مازال يتذكر · خبط على باب وسمع صوتا نسائيا مرتفعا يسأل « مين » · قال اسمه · فتحت امرأة منكوش شعرها ، لم تهتم أن تمشطه منذ يومين · وجهها أسمر مشوب بالزرقة وحول عينيها هالات من الزرقة · مرتدية جلبابا أو قميص نوم · لم يفهم · وجم لحظة لمنظرها · ويبدو أن رؤية الرجل أدهشتها فشهقت المرأة التي تجاوزت الخمسين ورحبت به · قادته الى الداخل ولاحظ أن محتويات البيت لم تجدد من سنين · في حجرة الجلوس ، كانت تجلس امرأة بيضاء سمينة تصغر السمراء بسنوات · تتمخط دموعها وتدخن · فوجئت برؤية الرجل أيضا وكان ترحيبها به أكثر حرارة فاحتضنته وقبلته من وجنتيه ·

جلس فوق أحد المقاعد القديمة المكسوة بالقطيفة التي كان لونها أحمر · دارت نظراته بين المرأتين · انه لم يرهما على هذه الصورة من قبل · فهل مساحيق التجميل والملابس الصارخة الألوان كانت تظهرهما بشكل مختلف · أم هو تقدم العمر وعملهما ؟ ! · ويبدو أن المرأة السمراء فهمت ما دار في رأسه

فاعتذرت له عن مظهرها واخذت منديلا طويلا مزركشا كان ملقى بجانبها وربطت به شعرها المنكوش · قالت انهما لم تتوقعا زيارة أحد وانه الوحيد الذى جاء يسأل عنهما ولن تنسى له هـذا الموقف النبيل ·

قال الرجل متفاخرا أنه جاء ليطمئن عليهما بعد أن علم بالحريق ، واذا كانتا تريدان شيئا فهو لن ينسى تلك الليالى القديمة · بدأت المرأة البيضاء تبكى وتشكو كيف ستعيشان الى أن يعاد بناء مكان عملهما · وقالت لها السمراء الا تبكى هكذا فهم ان آجلا أو عاجلا سوف يستغنون عنها فى هـذا المكان وعليها أن تدبر عيشها وحدها ، فهما فى هـذا المكان مثل خيل السباق يدللها صاحبها ويعتنى بها مادامت قوية جميلة تجلب له المكسب ، وعندما تكبر يبيعها أو يتبرع بها لتقوم بأعمال لم تتعودها · ثم ابتسمت بمرارة وقالت أن صاحب الملهى بدأ يلمح لها بنهاية خدمتها ولولا السنوات الطويلة التى أمضتها فى عملها عنده لكان طردها مباشرة ·

قالت المرأة البيضاء انها خلال هـذين اليومين فكرت جديا أن تتدبر مبلغا من المال لعمل مشروع مطعم صغير أو محل « بوتيك » · وبكت مرة أخرى وهى تندب حظها الذى جعلها تفشل فى زواجها · فنهرتها السمراء وهى تذكرها بمساوىء ذلك الزوج وكيف كان يسرق نقودها · وجد الرجل الذى تعود أن يراهما مرحتين لتسعداه ، أن الجو فيه كآبة لم يحتملها · فاقترح أن يعزمهما على العشاء · وخرجوا ·

فى أحد المطاعم المتطرفة القريبة من المكان · كانت مجموعات قليلة من الناس يتناولون عشاء قبل ساعة حظر التجول · جلس ثلاثتهم ، وكما كان يفعل الرجل فى تلك الليالى طلب زجاجة خمر مع العشاء · وأراد أن يخرجهما من حزنهما فذكرهما بتلك الليالى المرحة وهو يضحك · توالت الذكريات بينهم · ارتفعت أصواتهم ·

تناقصت زجاجة الخمر • حتى أن العدد القليل من الجالسين عرفوا مهنهم وتهامسوا عليهم • وتبدلت دموع المرأتين الى ضحكات • ودعتا للرجل بطول العمر •

قام الرجل فترنح وكاد يقع فجلس • ولعنهما ضاحكا • قال انه لميشرب كثيرا بأمر الأطباء الملاعين • فجأة شعر باكتئاب وبدأ يشكو من وحدته ويصرح بندمه انه لم يرتبط بحبيبة قلبه حتى لا تسأله لماذا يتأخر فى المساء • فهو لم يتصور أن يحرمه أحد من حياة النيل التى عشقها حتى لو كانت حبيبة قلبه •• وها هو تمتع بكل حريته ولم يسأله أحد طول تلك السنوات أين يمضى وقته • والآن •• ولمعت عيناه • ليست بدموع تماما •

لم ترد المرأتان أن ينكد عليهما ويذكرهما بالوحدة والندم بعد أن انتشتا وضحكتا •• فقالت المرأة السمراء انه حان الوقت لينصرفوا فقد انصرف كل الناس واقترب موعد حظر التجول •

وقفت المرأة البيضاء السمينة فأوقعت المقعد الذى كانت تجلس عليه وارتبكت أمام نظرات « الجرسونات » الذين ينتظرون انصرافهم • ضحكت السمراء بصوت مرتفع • وتأكد الرجل أنهم أصبحوا فى حالة من السكر لا يعلم سوى الله الى أين ستقودهم •

وفى السيارة العتيقة جلس ثلاثتهم فى المقعد الأمامى ، وأيقن الرجل أن وقود سيارته نفد تماما • فلعن طيبة قلبه التى جعلته يقطع هذه المسافة الطويلة ليطمئن عليهما ، ولعن اليوم الذى عرفهما فيه •• لعن الحريق ، ولعن حظر التجول • وكانت لعناته هذه المرة غاضبة •

اقترحت السمراء أن تسير مع زميلتها الى الشارع الكبير وتستأجرا سيارة أجرة لتحضرا له وقودا لسيارته من أقرب محطة تموين • ولم تنتظر موافقة الرجل على اقتراحهما • فتحت باب السيارة ونزلت وهى تشد زميلتها السمينة من ذراعها •

سارت المرأتان شبه مترنحتين · اشارت احداهما لسيارة عابرة فتوقفت وصعدتا ضاحكتين لراكبيها · راقبهما الرجل ولمعت عيناه · ليست بدموع تماما · وليس حزنا على ما صار اليه · وضع ذراعيه حول عجلة القيادة كأنه يحتضن سيارته العتيقة ويحدثها · فهى الوحيدة التى رافقته طوال تلك السنوات بلا ملل أو شكوى · وهى حبيبته الحقيقية الصابرة · وأقسم الا يتركها وحيدة فى هذا المكان المقفر · أسند رأسه على ذراعيه فوق عجلة القيادة وهو يعلم تماما ربما يبقى هكذا حتى الصباح ·

— ١٢ —

مصرى

● قــالت لى عــاملة التليفون : « أن هنــاك رجلا يريد محادثتى ٠٠ » اسم الرجل من بلدى ٠ أحمل له رسائل وهدية ٠٠ الأهل يبحثون دائما عن مسافر الى بلد الغائب يعرفونه ليحملوه رسائل وهــدية ٠٠ اعتذرت للرجل عنعدم اتصالى به مبــاشرة عند وصولى ٠ وقال : « انه يقدر انشغال الفرد عندما يصل الى بلد غريبة » ٠ عزمنى على تناول الشاى معه وأسرته وتمضية نزهة الأحد المسائية معهم ٠ قال : « انه سيحضر بسيارته لأذهب معه » ٠ سالنى : « ان كان معى مصريون آخرون » ؟

قلت : « اربعــة » ٠ قال : « يمكننى أن اصــحب معى فردا واحــدا » ٠

وجدت زميلتى تصفف شعرها ٠ سالتها ما اذا كانت تريد أن تذهب معى فى نزهة الأحد المسائية مع مصرى وأسرته ٠ هللت للفكرة وقالت بفرحة طفولية : « اننا لابد سنذهب مع ابن بلدنا الى ملهى ليلى ونرقص ونقضى على هــذا الملل الطويل المســمى بالليل الأوربى » ٠

فى الموعد نزلت وزميلتى لننتظر الرجل بجوار باب المسكن الـذى ننزله · سـألنا أحد زملائنا الثلاثة : أين نحن ذاهبتان ؟ قالت زميلتى بثقة « اننا ذاهبتان مع صـديق من بلدنا لنزهة يوم الأحد المسائية » قالتها بمعنى اننا لسنا فى حاجة الى صحبتهم · فهم يتركوننا كثيرا لمصاحبة بنات أوربا ولم نعد نهتم بخروجهم ·

قال زميلنا : « انه يتمنى لنا سهرة مخيفة » ··

جاء الرجل فى موعـده تماما · وكانت سـيارته كبيرة مما جعلنى أتعجب انه لم يدع سوى اثنين ، انها العادات الأوروبية ·

جلست فى المقعـد الأمامى بجـانبه · وجلسـت زميلتى فى المقعد الخلفى ··

أسمر ·· شعره مجعد أسود تتخلله شـعيرات بيضاء · متوسط القامة ·· ملامحه مصرية · قال : « انه يسكن فى ضاحية بعيدة الى حد ما » · قال : « ان معظم الأوروبيين يفضلون السكن فى الضواحى بعيدا عن ضوضاء المدينة · والرجل الأوربى يعتقد انه كلما بعد مكان عمله عن مكان مسـكنه يكون هـذا مريحـا لأعصابه وافضل لصحته » · وبدأ الرجل يحكى لنا تاريخ حياته · ربما ليسلينا فى الطريق الطويل ، وربما ليتحدث فقط بلغتنا · أو ليقول لنا انه بالرغم من اغترابه وتقليده الرجل الأوربى فى اختيار مسكنه البعيد عن المدينة فهو مصرى ·

وكنت أعرف شيئا عن خلفية حياته التى بدأ يحكيها لنا ·

كان زعيما وطنيا · وافلت بأعجـوبة من السـجن فى عهد الملكية ·· وقرر أهله أن يرسلوه الى الخارج ليكمل تعليمه بعيدا عن المظاهرات والشغب والسجن وتضييع المستقبل ·

كان الولد الوحيد بين خمس بنات فلم يرض الأهل أن يضيع مستقبل الولد · انتهى من دراسته الجامعية وعاد بعد الثورة سعيدا بتحقيق آماله الوطنية · لكن حكومة الثورة وجدت وطنيته متطرفة · وأفلت بأعجوبة ثانية من السجن وعاد الى أوربا ليكمل دراسته العليا · ثم عمل · أحب · تزوج · أنجب أربعة · ابنين وبنتين · كان قد قرر مع زوجته أن ينجبا اثنين فقط · ابنا وبنتا · فى المرة الأولى انجبا ابنين توأمين · وقالت الزوجة : « انها تريد بنتا » فانجبت بنتين معا ·

ضحك · وضحكنا ·

قال الرجل بشىء من الحزن « انه لم يعد يجازف ويفكر فى العودة الى بلدنا · ماذا لو منعوه من الخروج · ماذا لو انتهزوا فرصة عودته وسجنوه · ماذا لو حرم من أطفاله · وأصبح يكتفى بسماع أخبار بلده من بعيد · ومن أبناء وبنات مثلنا عندما نذهب للدراسة أو العمل أو السياحة » · وتهدج صوته وهو يقول · « وحشتنى بلدى » ·

قالت زميلتى ـ « وهل أنت هربت من السجن مثلا فتخاف أن يعيدوك اليه » ؟ !

استعاد حيوية صوته وقال لها :

ـ فرق كبير من كلمة هربت وأفلت · هربت تستعمل اذا كنت فعلا مسجونا ودبر هربى بأى طريقة ·

أفلت معناها انه كانت هناك نية لاعتقالى وشعرت بها فافلت منها ·· قد استعملت كلمة افلت فى حديثى ·· الا تعرفين اللغة العربية ··

قالت زميلتى ، ويبدو انها تضـايقت فأيقظت عقلهـا لترد عليه :

ــ اذا كانت هناك كما تقول نية لاعتقالك وشعرت بها فكيف استطعت السـفر ! وفى مثل هـذه الحـالات توضـع أسماء من يريدون اعتقالهم فى قائمة سـوداء توزع على المطارات والموانى البحرية وأيضا مصلحة الجوازات ٠

ضحك الرجل بعصبية وقال :

ــ فى هـذه الحالة أكون قد هربت فعلا ٠

ثم نظر فى ساعته وقال : اننا سنتأخر عن موعد الشـاى وستغضـب زوجتى ٠ سـألته زميلتى لـماذا لا يسرع ؟ فقال ان قوانين المرور تحدد السرعة فى كل طريق وهو لابد أن يسير تبعا لها ٠٠

وقد لاحظت كيف يحترمون القوانين فى هـذه البلاد ، لكن يبدو أن الرجل الغريب يحرص على تنفيذها أكثر مما يحرصون هم ٠٠ وكانت المسافة طويلة فعلا الى أن وصلنا الى ضاحية أشبه بالقرية ٠

صعدنا الى منزله ٠ دخلنا خلفه الى شقته خلعنا معاطفنـا بجانب الباب على الطريقة الأوروبية ٠ وظهرت زوجته الأجنبية وهى موجهة الكلام اليه بلغة بلدها :

ــ مصرى ٠٠ لقد تأخرت ٠٠ وأعتقد انك سرحت وأنت تقود السيارة أو كنت تحكى لهما تاريخ حياتك ٠

تقدمت منا تسلم علينا ٠ قلنا اسمينا حتى نعفى الرجل من عملية التذكر ٠ جلسنا فى حجرة المعيشة خلف مائدة صغيرة معدة بأكواب الشاى وأطباق الحلوى ٠ وجاء الولدان والبنتان ٠ ملامحهم مثل أمهم أوربيون ٠ تحدثنا ٠ زميلتى وأنا عن بلدنا ٠ والزوجة من حين لآخر تملأ لنا الشاى وتقدم الحلوى وتسأل « مصرى » أن يقوم ليحضر لنا مزيدا من الماء الساخن للشاى ٠ وقد رأيت تصرف الرجل الأوربى فى بيته لكن « مصرى » يفعل أكثر مما يفعله الأوربى !

قال : « زوجتى تناديني بالمصرى ٠ واختصارا تقول ٠٠ مصرى ٠ واشتهرت هنا باسم مصرى ٠ لا أحد يعرف اسمى الحقيقى من أهل الضاحية » ٠

وابتسم بشىء من العصبية وقال :

ـ « زوجتى أحبت مصر من حكاياتى عنها ٠ ومن الصور ٠ ومن أحاديث الأصدقاء أبناء بلدى الذين يحضرون هنا ٠٠ مثلكما » ٠

قالت الزوجة ـ « أعرف مصرى منذ خمسة عشر عاما ٠ ومنذ ذلك التاريخ وهو يعدنى بزيارة مصر ٠ لكن دائما تصادفنا اشياء تعطلنا ٠ أولا عدم امكانية السفر المادية ثم جاء الابنان ٠ وقال مصرى أنه يريد بنتا ٠ ثم جاءت البنتان ٠ وعادت مرة أخرى عدم امكانية السفر المادية » ٠

تبادلت مع زميلتى نظرة ٠ ووقف « مصرى » معلنا عن بداية نزهة الأحد ٠٠ ارتدينا معاطفنا وتعجبت مع زميلتى ٠ لماذا الأطفال سيخرجون معنا ؟ !

فى جو رمادى قاتم نزلنا فى طريق مثل الزراعية فى قرى ريفنا سرنا ٠ الترعة نصف جافة والأرض عطشى ٠ والعائلات فى

البـلدة يسـيرون مثلنا فى الطريق المقفر · يصـحبون الأطفـال والكلاب ويحيون بعضهم بعضا ، منظرهم ذكرنى بمنظر الأجانب وهم يتركـون بلدنا قبل حرب « ٦٧ » · انقبضـت نفسى لهـذه الذكرى · كان منظر الأجانب وهم يغادرون بلدنا يثير تسـاؤلى ويقبض قـلبى · كانهم كـانوا يقولون لنا : « لتهـدم بيوتكم على رؤوسكم · مالنا ومالكم ·· أردتم التحدى ·· فموتوا وحدكم » · خيل الى أن سكان القرية فى هـذا الجو الرمادى القاتم أشباح ، وجوههم بيضاء ، ابتساماتهم باردة · والمصرى شبح أسمر اللون يتحدث بلغتهم · ويتصرف مثلهم · أطفاله مثل أطفالهم لا يعرفون كلمة عربية ومع ذلك فهو شاذ وسطهم ·

همست زميلتى لى – ياخبر أسود ·· هل هـذه نزهة الأحد ؟!

همست لها – لا يبدو فى المكان شىء مما كنا نتوقع ·

همست لى – دعوة زميلنا علينا أصابتنا ·

ابتسمت · ووقفت آتأمل المنظر ·

مثل صورة من الصور الكلاسيكية القديمة · الجو قاتم ·· ساكن · والزرع صامت ·

تخيلت نفسى بطلة فى احدى الزوايات الكلاسيكية ، خرجت بفستانها الطويل فى هـذا المكان لتقابل حبيبها تختبىء خـلف الأعشاب عندما تسـمع صـوتا · ويأتى حبيبهـا من بعيد مناديا اسمها · وفى حركة راقصة رشـيقة تجرى اليه ويحتضـنها ·· وعندما بدأت أتخيل الحبيب الذى يشاركنى هـذه « اللقطة » نادانى مصرى لألحق بهم · لأرى « جراج » سيارته الذى صنعه بيديه · قال ان أهل البلدة صنعوا « جراجات » سياراتهم بأيديهم وهو لم يشذ عنهم فصنع « جراج » سيارته أيضا · مررنا أمام « جراج »

مفتوح فى داخله قارب بخارى ورجل وزوجة يعملان · وقف « مصرى » يشرح لنا ماذا يفعل الرجل كأننا فى متحف وهو يحكى قصة كل قطعة أثرية ·

ـ « هـذا الرجل يقوم بصناعة قارب بخارى كل شتاء ويبيعه فى أول الصيف ويعيش من ثمن بيعه ويصنع غيره وهكذا ·· وزوجته تساعده كما ترون » ··

نظرت حولى فى هـذا الجو الرمادى · قرية بعيدة عن البحر والبحيرات ورجل يصنع فيها قاربا · شكل القارب غريب وهو مكان السيارة فى « الجراج » · شكل المصرى غريب مثل القارب ·· ليس فى مكانه ·

أمام الجراج كانت طفلة فى عربة أطفال ملتفة بغطاء من الصوف · قالت لى الطفلة وهى تشير الى ما يصنعه أبوها :

ـ هـذا قارب

ابتسمت لها

قالت : هـذا قارب أبى ··

قلت : هـذا جميل ··

ابتسمت الطفلة · واخترق صوتها الرقيق هـذا الصمت القاتم ليبدده فى نغمة فرحة وهى تشير الى عروسة فى يدها ·

ـ هـذه عروسة ·

ابتسمت لها

قالت : هــذه عروستى أنا ··

قلت : أنا أعمل فى مصنع عرائس

قالت : عندك عرائس كثيرة ؟

ـ نعم ·· هل أحضر لك واحــدة ··

قالت وهى تحتضن عروستها ـ هــذه عروستى أنا ··

ربت على رأسها · كانت النغمة الحلوة الوحيدة وسط قتامة وضباب هــذه القرية . التفت الى أطفال المصرى ·· كانوا يستمعون الى حديثنا ولم يشتركوا · ولم يبتسموا ·

احتوانى شعور مبهم بالاستمتاع بكل ما يحيطنى بالرغم من قتامته ·

قال مصرى : « عائلات البلدة يخرجون هكذا فى نزهة الأحد بعد تناول القهوة والشاى والحلوى · أما الشبان والفتيات فيذهبون الى الحانة ليشربوا ويرقصوا ويحلموا بالمستقبل » ·

كانت نبرات صوته قاتمة عندما تحدث ، ولأول مرة ألاحظ تجاعيد وجهه ·

قلت سارحة كأنى أحدث نفسى :

ـ وأنت يامصرى ما هى أحلامك ؟

التفت الى كأنه فوجىء بسؤالى · وقال :

ـ احلامى لم تتحقق تماما كما اردتها ٠٠ احلامى كانت فى بلدى ٠٠

ثم ابتسم هــذه الابتسامة العصبية وقال :

ـ وهل يوجد انسان تتحقق أحلامه تماما ؟ !

همست لى زميلتى ـ ليتنا نذهب الى الحانة ٠٠

نظر الرجل فى ساعته وقال انه سيوصلنا كما جاء بنا ٠ وقالت زميلتى ان المسافة بعيدة وقد قطعها مرتين واننا سنعود فى « المترو » ٠ وافقت على كلامها ولم يعترض المصرى ٠ أخذت الزوجة الأطفال بعد أن سلموا علينا وسارت الى المنزل ٠ وجاء « مصرى » معنا الى محطة « المترو » ٠

قال : أشكر لكم هــذه الزيارة والهدية التى حملتموها لى من أهلى ٠٠ وقبلوا أرض مصر نيابة عنى ٠٠

قالت زميلتى : « الذى يريد أن يقبل شــيئا يأتى اليه ويفعل هــذا بنفسه » ٠

قال : « طبعــا ســأفعل هــذا يومــا ٠٠ هــل تشــكين فى مصريتى » ؟!

وعندما جلست أمام زميلتى فى « المترو »

قالت : : كاذب ٠٠ كيف يشتاق الى بلدنا وهو أصبح مثلهم تماما ٠ ليس مثل أهل هــذه البلاد بل مثل أهل هــذه القرية » ٠٠

لم أرد أن أتحدث وأتناقش معها ، وأقول انه لم يصبح مثل أهل هــذه البلاد وفى الوقت نفسه لم يعد مصريا ٠ لم أرد أن أدافع

عنه ولا أن أوافق على رأيها · صمت ·· نظرت خلال زجاج نافذة « المترو » الى الأضواء التى تنير الطريق مثل الطريق الزراعى ·· أضواؤه باهتة من رطوبة الجو الساكن البارد ·

صورة أخرى من الصور الكلاسيكية القديمة · تخيلت نفسى بطلة احدى الروايات الكلاسيكية القديمة خرجت فى عربة يجرها حصانان لتقابل حبيبها الذى ينتظرها بشوق وقلق · فى هذا الطريق الزراعى ذى الأضواء الضبابية الباهتة يلمح الحبيب العربة ويفرح انها جاءت · ويصعد ليلجس بجانبها ويقول لها عن قرار مفاجىء ··· أن يهربا معا · تفرح للقرار ويغيبان فى قبلة ·

وعندما بدأت أتخيل الحبيب الذى يشاركنى هذه « اللقطة » ·

قالت زميلتى : « لا تقولى لزملائنا عن خيبة أملنا فى نزهة الأحد ·· لابد أن نتخيل حكايات جميلة » ··

ابتسمت وأنا أقول :

ـ « كل ما تخيلته حكايات قديمة كلاسيكية لا تصلح أن أحكيها » ·

نظرت الى بدهشة متسائلة ··وكان من الصعب أن أحكى ·

قلت : « تشغلنى حياة مصرى » ·

— ١٣ —

فرسان الأرض

فرسان الأرض · هؤلاء الذين يبدون نبوغا فى العلم ، فى مدارس القرى الصغيرة ويحـلمون بالمدينـة · يتطلع الآباء الى الأبناء يحلمون بغزو ابنائهم للمدينة ، ليصبحوا مثل مشـاهير المدينة · وليكون للأهل بيت هنـاك ·

فرسان الأرض يحلمون وعيونهم مفتوحة · فوق أسـطح بيوتهم فى الصيف · السماء واضحة في الليالى القمرية · يحصون النجوم · يناجون مع الأغانى العاطفية حبا بعيدا لم يطرق قلوبهم بعد وأحيانا ينظمون الشـعر ·

فرســـان الأرض يحصـلون على شـهادة اتمـام الدراسـة الثانوية · يتوهج الحلم ويقترب من تحقيقـه ، يحمـلهم القطار الغازى للمدينة مع دعوات الأمهات والبنات الريفيـات المتطلعات ونصائح الآباء الا يلتفتوا لسحر المدينة ، مع حقيبة صغيرة للثياب وربطة كبيرة لزاد من الطعـام · ويلفظهم القطـار فى المدينة ، بأحلامهم ومخـــاوفهم يتوجهون الى منـازل الأقـارب ، أقرباء حقيقيون أو بحكم جوار الأرض يتلقون نصـائحم ويوجهونهم الى حيث يسـكنون ، أو يربونهم معهم فى بيوتهم ليكونوا فيمـا بعد أزواجا مخلصين لبنات الخال والعم ·

فرسان الأرض يتوجهون بأحلامهم الى جامعات المدينة ٠
هـذه معاقل العلم الحقيقية وهؤلاء هن الفتيـات الحقيقيـات ٠ يحلمون بغزو فتيات المدينة بعد غزو المدينة ٠

بطلنا واحد من فرسان الأرض ٠ فهم بذكـائه الفطرى أن فتيات المدينة يملن الى الشىء غير المـألوف وكان هو بلغته الريفية التى يتعمد استخدامها فى حضورهن ٠ وسذاجته الطبيعية التى لم تذهب بعد ٠ وكلماته التى يزوقها بالشعر ٠ تقرب الى فتيـات المدينة بنظراته الثاقبة وعينيه اللامعتين اللتين اعتادتا النظر الى الفضاء والمزارع الفسيحة ٠ سنابل القمح تتبدل الى أجساد هيفاء تتمايل مع نسمات الهواء ، وتثير أحلام الغزو ٠

بكل هـذه الصفات المكتسبة والموروثة تقرب بطلنا الى فتاة المدينة ، أعجبت بسذاجة حديثة ، ضحكت من تصادمه مع الحيـاة العصرية ٠ فرحت ببعض الأبيات الشعرية التى قالها فيها ٠

تعلق فارس الأرض بابنة المدينـة ٠ سهر الليـالى يناجى خيالها ٠ نسى العلم ونظم الشعر

« يا فرســان الأرض ٠ لا تنســوا المهمـة الأولى فى غزو المدينة ٠ التفوق فى العلم » ٠

هكذا يناديهم واحـد منهم ٠ أو شىء بداخـلهم ، أو الآباء المنتظرون بفارغ الصبر ٠ التفت بطلنا الى علمه ٠ نجح بتفوق ، وعندما تقدم خطوة ثانية واثقـة من الحبيبـة ، قالت له : « نحن صديقان ٠ لنعرف بعضنا أكثر الى أن ننتهى من دراستنا » ٠

لم يعجبه قول بنت المدينة ٠ لو أنها كانت واحدة من بنـات قريته المتطلعات لفرحت ، وخجلت ونظرت الى أرض الأجداد وهى تقول « أنا تحت أمرك » ٠

فرسان الأرض يذهبون فى الأجازات الى أهلهم وأرضــهم يعيشون حياتهم الأولى • ويتعجلون مرور الأيام ،لقد ابتلوا بأشواق حيــاة المدينة •

وبدأ بطلنا يتعود على حياتين ، فى قريته يجد مكانة كبيرة وسط أهله • هو الحلم الذى يريدون تحقيقه • هو ســيد الأرض الذى يلبون طلباته • هو حلم الفتيــات المتطلعات اللاتى لم ينلن تعليما كافيا • أو لم يسمح لهن بغزو المدينة فيحلمن بغزوها مع البطل الغازى • يحلمن بأفراح ومباهج المدينة لكن أحلامهن ليست ذات قيمة فبطلنا أحلامه بعيدة •

فى المدينة ليست له مكانة بعد ، تائه وسط ناسها ومبانيها • فى بيت للطلبة يظل خادما لنفسه فى كل شىء • بالكــاد يكفيــه ما يرسله الأب • فهو لا يرسل له مالا كثيرا حتى لا يحتويه أبناء السوء • وما أكثرهم فى المدينة • والفتيات لا تحلم به • هو الذى يحلم بهن •

فرسان الأرض • ينتهون من دراستهم سريعا • لا يتأخرون عاما ولا يرسبون فى الطريق • ليس هناك وقت • الطريق أمامهم طويل • طريق الغزو • وعندما يتثقفون • يجــدون الفتــاة التى تناسب ثقافتهم لكنها لا تناسب تقاليدهم الموروثة • تناسب عواطفهم الجياشة لكنها لا تناسب حاجتهم الى الزوجة الخدومة المطيعة • بعضهم يتغلب على أفكاره المحدودة ويتحدى رغبة الأهل وبعضهم يحتــــار •

وهكذا احتــار بطلنــا بل أصــابته صــدمة عندما قالت له الحبيبة انها موافقة على الارتبــاط به بشرط أن تعمل كمــا يعمل خارج البيت • ويعمل كما تعمل داخل البيت •

صرخ بطلنا « تعملين فى المحــاماة كما أعمل • وتقفين فى المحاكم ؟ •• وأغسل وأطبخ معك فى البيت ؟ • هــذا سخف » •

قالت : احببت المهنة فتعلمتهـا · وساعمل بها » ·
تردد فتركته ·

جرب بطلنا الحب العذرى ومناجاة الخيال وقول الشـعر ، وفشلت تجربته · ولمـا استقل فى حجرة صغيرة بلا قيود · وزاد دخله من العمل الذى بدا يغزوه جرب الجانب الآخر من الحب · واكتشف مباهج جديدة فى المدينة · وندرت زياراته للأهل فجاء الأب مشغوفا ليرى ابنه ، وفهم ماذا جرى له ·

اجتمعت العائلة · لابد أن يتزوج الابن ·

قالوا : « ابنة خالتك جميلة » ·

قال : « لا ·· هى جاهلة وانا متعلم ولا تعرف أصـول حياة المدينة » ·

قالوا وقـالوا ورفض كل عروضـهم · ولم ييأس الأهل · بحثوا فى كل فروعهم المنتمية للأرض واهتدوا الى ابنة قريب لهم يعيش فى المدينة ، تعلمت تعليما بسيطا وأيضا جميلة · فالأرض المتوارثة لا يصح أن تذهب الى أبناء غريبة · والقريبة أحسن من الغريبة فهى تفهم أصول استقبال الأهل ·

واقتنع فارس الأرض بحجة الأهل ، وتزوج من القريبة ابنة الأرض ·

فرسان الأرض · يتزوجون فى سن صغيرة استجابة لرغبة الأهل وبمسـاعدتهم المـادية ماداموا لم يخرجوا عن طـاعتهم ، وطاعة أرث الأرض · اقتنع بطلنا بحياته الجديدة ـ هـذا الغازى الناجح فى المـدينة يسـاعده استقرار البيت واخلاص الزوجـة القابعة فى انتظاره على الانهمـاك فى عمـله وتحقيق طموحه · لكن يبقى شىء فى نفسه يؤرقه · يغريه ويؤرقه ···

نساء المدينة · وعلى الأخص هؤلاء المتعلمات تعليما عاليا · المتوقدات بالعواطف والأفكار المتجـددة · اللاتى يتحـدث معهن

فى المحافل ويتمنى أن يلمسهن · بمركزه المرموق وسعة دخله يمكن الوصول اليهن ·

ويعود بطلنا الى طريقته الأولى فى الغزو · بلغته الريفية التى يستخدمها فى حضورهن ، بسذاجته المندشرة التى يسترجعها فى تصرفاته معهن · لكن غزوه الآن أصبح أكثر قوة ، واختياره أكثر دقة · فهو لا يريد ان يفقد استقرار وهدوء بيته بعواطف الغيرة والشك ·

هم فرسان للزوجة الملولة التى يهجرها زوجها لشهور طويلة ، يزيلون عنها ملل الليل ، فرسان للمطلقة الوحيدة يزيلون وحدتها بين جدران البيت ، فرسان للأرملة الحزينة ، يسردون عليها أحزان نشأتهم الأولى فتجد حزنها ترفا بالنسبة لأحزانهم ·

واكتملت سعادة بطلنا · أصبح لديه العمل المرموق والبيت المستقر والأطفال الذين سيرثون الأرض · والقلب الذى يخفق بالحب ، الذى يتوهج بالأفكار المتجددة · افكار امرأة المدينة المثقفة العاملة · الأرملة التى استطاع أن يزيل عنها الحزن ·

« والحب أوله هزل · وآخره جد » ·

الويل لفارس الأرض اذا خان الأرض وباع نصيبه · الويل له اذا ترك الزوجة ابنة الأرض وتزوج من العشيقة ، لكن فرسان الأرض لا يفعلون هذا · ليس خوفا من هذا الويل ، لكن بحكم ما رضعوه فى طفولتهم ، وما تعلموه فى صباهم من تقاليد الأرض ·· الوفاء ···

لقد تعود بطلنا أن يعيش حياتين مختلفتين ، حياة فى القرية، وحياة فى المدينة ، والآن حياة مع الزوجة ، وحياة مع العشيقة ،يتقن الحياتين ، يخلص للحياتين ·

لكن المرأة التى تعيش معه فى الظل تمردت على حياتها معه وطلبت الوضوح فى العلاقة ولن تطالبه بشىء أكثر من الوضوح · والمرأة التى تعيش معه فى الضوء ، علمت بحياته الثانية فهرعت الى الأهل ·

قال الأهل النصيحة ٠ الا تغضب ٠والا تترك ٠ فهناك أطفال٠ وأرض ٠ والرجل لن يخون الأرض فلابد أن تكون معه فى البيت ٠٠ رائحة الأرض ٠

قال الناصحون للعشيقة :

« لتحرص سيدتى من فرسان الأرض ، اذا كان قد أصابك الغزو فهم يجيدون كلمات العشق وأحيانا تثار هوايتهم القـديمة فيقولون فيك الشعر ٠ يحبونك بعواطفهم المخزونة ، أو المحرومة لكن قلوبهم بعيدة عنك ٠٠ يحبون حديثك الذى يملأ رءوسهم ويديرها على شرط ألا تطرقى الأرض المحرمة ٠٠ أرض استقرارهم ٠ اذا أردت الاستمرار فعليك ألا تخرجى عن حدود أرضك ولا تجازفى بالدخول الى أرضهم » ٠

لم تستمع الى النصيحة ٠ واختار بطلنا أرضه لا ٠٠ انه لا يختار ٠٠ هو يعود لأرضه ٠٠ لكن هـذا الشىء الذى فى نفسه عاد ليؤرقه ٠ ويموت الفارس اذا امتنع عن الغزو ٠ فيعود للغزو ٠

رقم الايداع بدار الكتب ٣٢١٥
الترقيم الدولى ١ ـ ٠٥١ ـ ١٧٢ ـ ٩٧٧

دار غريب للطباعة
١٣ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص ٠ ب ٥٨ (الدواوين) ـ ت : ٢٢٠٧٩